

KHANKI

NABULIYUN

2271
• 50849
• 368

2271.50849.368

Khanki

Nabuliyun . . .



32101 074069384

خانگی کج

Khan kij, Aziz

Nabuliyun

نابلیون و محمد علی



المظہریۃ العصیۃ

اصاحبها : الیاس انطونیوس

شارع الخیج الناصری بالفوجة بمصر

9-15-69

19A5

محمد على باشا الكبير

ونابليون^(١)

بين حياة نابليون وحياة محمد على وجوه شبه كثيرة . كلها مصادفات غريبة جداً تتمد من المهد الى اللحد :

١ - ولد نابليون في سنة ١٧٦٩ ، وولد محمد على مثله في سنة ١٧٦٩^(٢)

٢ - ولد نابليون في ثغر (هو ثغر أجاكسيو Ajaccio) ، وولد محمد على مثله في

ثغر (هو ثغر قوله) Cavala^(٣).

(١) كتبت « خلاصة » هذه المقالة في جريدة « الاهرام » في ٢ اغسطس سنة ١٩٤٣ وهو يوم ذكرى وفاة محمد على باشا الكبير في ٢ اغسطس سنة ١٨٤٩ .

(٢) وفي هنا الصدد يقول المؤرخ الفرنسي بول موريز Paul Mouriez في كتابه القيم « تاريخ محمد على » :

“ Le héros de l’Egypte aimait lui-même à rattacher sa destinée à celle de Napoléon, et c’était une de ses grandes joies de penser qu’il était né la même année que lui ”

ومن الذين ولدوا ايضاً في هذه السنة نفسها — سنة ١٧٦٩ — ولنجتون Wellington وفاز بـ Waterloo وشتاوبيريان Chateaubriand الكاتب الفرنسي الشهير . وشيلر Schiller الشاعر الالماني الشهير . وكوفيفييه Cuvier من علماء فرنسا المشهورين . وهمبولدت Humboldt العالم الالماني . وولتر سكوت Walter Scott الشاعر الاسكتلندي

(٣) قرر المجلس البلدي بعدينة قوله في ٢٢ مايو سنة ١٩٣٨ اطلاق اسم نابوليis Néapolis على مدينة قوله مسقط رأس المنفور له محمد على باشا الكبير . فأعاد اليونانيون إليها اسمها القديم الذي كانت معروفة به في عهد الاسكندر الاكبر المقدوني . وقوله Cavala معناها الجواد او الفرس . ويقال ان الاسكندر الاكبر هو الذي ابدل اسم المدينة القديم باسم قوله Cavala تخليداً لذكرى جواده Bucephale . ولما قتل هذا الجواد في احدى وقائع الاسكندر في الهند شيد الاسكندر مدينة سمّاها باسم جواده بوسيفال Bucephalie تقع أمام مدينة Djellem (في الهندستان بمحاجب) . وقد تغير اسم هذه المدينة غير مرّة . بعد ان كان اسمها نابوليis في عهد الاسكندر جاءت الدولة البيزنطية وأبطلت اسمها القديم وسمّتها خرستوبوليis Christopolis (أى مدينة المسيح) . ثم جاء اليونانيون ســـوها كبابالا Kaballa . وفي عهد الترك سمّيت قوله Cavala .

والآن جاء اليونانيون للمرة الخامسة وأعادوا إليها اسمها القديم نابوليis Néapolis

٣ - وثغر أجا كسيو (جزيرة كورسيكا) واقع على البحر الأبيض المتوسط .
وثر قواله (مقدونيا) واقع مثله على البحر الأبيض المتوسط .^(١)
٤ - وطول قامة نابليون خمسة أقدام وبوصتان - مترو ٦٨ سنتي -^(٢) . وطول
قامة محمد على خمسة أقدام وبوصتان .^(٣)
٥ - بدأت حياة نابليون بنبوءة ، ذهب ليعود عم أبيه فنظر اليه عم أبيه (وهو
يختصر) وقال له : « مستصير أنت يا نابليون بعد حين رجلا عظيما ».^(٤)
. “ Toi, plus tard, Napoléon, tu seras un grand homme.”
ولما رأه باولي Pascal Paoli أبو الثورة في جزيرة كورسيكا ينظم أول أورطة
تولاها ، تولته الدهشة وقال :
“ Ce jeune homme est taillé à l'antique ; c'est un homme de Plutarque.”
وقد كان .

وبدأت حياة محمد على باشا بنبوءة مثلها . ذهب وهو في قواله لينخرط في سلك
الثلاثمائة جندي الذين جندتهم الحاكم ليتحقروا بالجيش التركي الذي سيره السلطان الى

(١) فالبحر الأبيض جاء همزة وصل بين فرنسا ومصر ومقدونيا . وقد اشار الى هذا محمود فخرى
باشا في الخطبة التي القاها امام مسيو ميللان Mr. Millerand رئيس جمهورية فرنسا عندما قدم له
اوراق اعتماده كوزير مصر في فرنسا حيث قال :

“ La Méditerranée nous a unis et rien ne nous sépare ”

(٢) نقلًا عن نابليون نفسه . اذا انه في اثناء حصار يافا في مارس سنة ١٧٩٩ صوب
احد جنود اعمد الله اغا قومندان يافا بصدقته نحو نابليون فأصابت قبعته والقتها على الارض واصابت
قومندان الآلاى الفرنسياوي — وكان طويلا القامة — وأرده قتيلا . فقال نابليون كلته « هذه هي
ثانية مرة اراني مديينا بحبيبي لقصر قاتي وهي خمسة أقدام وبوصتان — راجع صحيفه ٢٧٥ من كتاب
« بونابرت في مصر » Buonaparte en Egypte, par Désiré Lacroix
وها الاصل الفرنسياوي :

“ Voilà la seconde fois depuis que je fais la guerre, que je dois la
vie à ma taille de cinq pieds deux pouces.

: Clot Bey (٣) وفيه يقول كلوت بك

“ Sa taille est peu élevée; elle ne dépasse pas cinq pieds deux
pouces. Voir Aperçu général sur l'Egypte, par Clot Bey. T.I.P. 60.

(٤) ومن المصادفات الغريبة انه كان يوجد في باريس في زمن نابليون عرافة شهيرة اسمها
لونورمان Lenormand قابلت جوزفين بعد زواجها بناابليون بونابرت وتبنّأت لها بما ستلاقيه في
حياتها بعد زواجهما بناابليون من عذمة وسوء وسلطان وقد تحققت نبوءتها . ولما صارت جوزفين امبراطورة
استدعتها فتنبّأت لها باعتزام نابليون على ان يطلقها (وقد تحققت نبوءتها) فلما سمع نابليون بهذه النبوءة
أمر بالقبض عليها وبعد بضعة أيام افرج عنها . راجع قاموس لاروس القرن العشرين ... كلة Lenormand

مصر لطرد الفرنسيين ، وكان محمد علي متعصضاً ساخطاً من أمر تجنيده فقا به في طريقة رجل عجوز فلما آنس على حميه دلائل السخط والكابة سأله عن سبب كآبته ودار بينهما الحديث الآتي :

العجز - ما سبب كآبتك ؟ .

محمد على - يريدون إرسالي إلى مصر لحاربة الكفار .

العجز - وماذا ترى في ذلك ؟ .

محمد على - أنا لا أريد السفر لأن بقائي في بلادي خيري . الدار هنا دار أمان وللي فيها أصدقاء ورفقاء .

العجز - أنت غلطان ، نعم ان الطريق طويل ووعر ولكنه يصل الى ذروة المجد ، فتوكل على الله وسافر على بركة الله .

وكثيراً ما كان محمد على يذكر هذه النبوة في أحاديثه ^(١) .

ويقول السر تشارلس موري في الكتاب الذي وضعه على محمد على : انه لما كانت أمم حاملا به ذهبت يوماً إلى عراقة ذاع صيتها في « قوله » وسألتها عما يخبئه القدر لم ولدها الجديد فتنبأت لها بأن ولدها سيرقي ذروة المجد والعظمة ويبلغ مرتبة الحكام والملوك ، فاغتبطت بهذه النبوة . ولما ترعرع ابنها لم تكف عن ترددها له فأثرت فيه تأثيراً عظيماً وتولد فيه شعور الطموح إلى المجد ثم لم يلبث أن أحس بداع يدفعه إلى سلوك الطريق المؤدي إليه (صحيفة ١٨ من كتاب « محمد على » بقلم الاستاذ كريم بك ثابت) .

٦ - ونابليون نشأ فقيراً . ومحمد على نشأ فقيراً مثله ^(٢) .

٧ - ونابليون تزوج مرتين ، في المرة الأولى تزوج بجوزيفين Joséphine (في ٩ مارس سنة ١٧٩٦) وفي المرة الثانية باري لويس (بنت امبراطور النمسا) .

(١) راجع هذه الحكاية في الصحيفة ٦٢ من كتاب موريز Mouriez جزء أول في تاريخ محمد على .— ويروى أن محمد على رأى ذات ليلة في منامه انه ظمئاً شديدة الحرارة كل ماء النيل ولم يرتو فلما أصبح الصباح قص رؤياه على الشیخ فقال له (ابشر يا ابني فإن منامك معناه انك سوف تملك وادى النيل بأسره ولا تكتفى به فتجوازه) . وقد تحقق تفسير هذا المنام .

(٢) لما رحل نابليون من بلده في جزيرة كورسيكا قاصداً فرنسا ليتحقق بالجيش لم يكن معه

- ٢ أبريل سنة ١٨١٠ وكانت له خليلات كثيرة . و محمد على تزوج مرتين ، في المرة الأولى تزوج أمينة هانم في خلال سنة ١٧٨٧ (بنت على باشا الشهير بصرى من أهالى نصرتلى التابعة لدراما) . وفي المرة الثانية تزوج ماه دوران هانم وكانت له مستولدات كثيرة .
- ٨ - وزوجة نابليون الأولى كانت أرملة ، وزوجة محمد على الأولى كانت أرملة .
- ٩ - وإحدى زوجي نابليون (جوزيفين) لم تلد له ولداً ولا بنتاً . وإحدى زوجتي محمد على (ماه دوران) لم تلد له ولداً ولا بنتاً .
- ١٠ - كانت جوزيفين Joséphine طالع سعد على زوجها نابليون ^(١) . وكانت أمينة هانم طالع سعد على زوجها محمد على ^(٢) .

سوى ٥ فرنكا . فلما وصل الى مدینة ليون كان كل ما معه قد نفد فاضطر أن يعنى على قدميه من مدینة ليون الى مدینة فالانس حيث القشلاق الذى عين له . ولم يتم وجود ساعة منه اضطر الى تحطيط مزولة امام شبابك غرفته ليعرف منها الوقت . وصادفة وقت كان يطبح بنفسه لنفسه . كما جاء وقت اضطر فيه ان يبيح ساعته ليشتري بيتها طماماً . وقد أحب نابليون فتاة وطلب أن يتزوج بها الا ان أهلاها رفضوا بسبب فقره . وهذا ماقاله عن نفسه :

“ J'étais le plus pauvre de mes camarades, ils avaient de l'argent, je n'en eus jamais.” Rosny

صفحة ٢٢ من كتاب

إلى ان قال :

“ C'est en ne mettant jamais les pieds dans un café ni dans le monde, c'est en mangeant du pain sec, en brossant mes habits moi-même que... P. 25.

ولما كانت أمه وأخواته في مرسيليا كانت معيشتهن في غاية الضيق حتى ان بعض الجمعيات الخيرية كانت تعطف عليهم وتبرهن . والام وبنتها كارولين كانوا تقطنان الثياب في المسفل العمومي بينما كانت بنتها الآخر يان بولين وأليزا تتسلقان من وقت الى آخر سورا بعض الحدائق لخطف بعض الثمار .

(١) أليس من أعجب العجب ان هذا الفقير يصبح بعد بعض سنوات سيد اوروبا بل سيد العالم حتى انه ذهب ذات يوم الى الصيد مع بعض الملوك والامراء والمخلاص فلما جاء وقت الظهرية أصدر اوامرہ تباعاً الى ثلاثة من الملوك ليستمتعوا بالغداء . قال لا لهم (أنت ياملك هولندا استمتع بالغداء) ولما لم يحضر الغداء نادى الى الثاني وقال له (أنت ياملك اسبانيا اذهب واستمتع بالغداء) فلما أبطن التفت الى ثالثهم وقال له (أنت ياملك نابولي اذهب واستمتع بالغداء) . كانت اشارته أمرأة وأمره حكماء .

وقد أشار الى هنا وزير النمسا الاكابر مترنيك (Metternich) عند ماقال :

“ C'est tout de même un homme extraordinaire, celui qui peut s'offrir l'orgueilleux plaisir d'envoyer successivement trois rois à la cuisine pour voir si son déjeuner est à point.” (Voir. EN SUIVANT L'EMPEREUR PAR G. LENOTRE P. 89.

واعجب من هذا واغرب ان هذا الفقير يصبح امبراطوراً على فرنسا . واخاه لويس (الذى كان يفترش الارض لينام) يصبح ملك هولاندا . واخاه جيروم يصبح ملك وستفاليا . واخاه يوسف يصبح ملك اسبانيا . واخته كارولين ملكة نابولي . واخته اليزا غراندوقة توسكانيا . واخته بولين اميرة بورجيز . وعرض على أخيه لوسيان ان يكون ملكاً فرفض

(٢) ومن مأثور قول محمد على عن نفسه « ان محمد على ليس مدينا بكل ما ادركه لجاه في النسب

- ١١ - ونابليون رفع زوجته جوزيفين من طبقة الشعب الى ذروة المجد والجاه والسلطان فصارت « امبراطورة فرنسا » ^(١) . ومحمد على رفع زوجته من طبقة الشعب الى ذروة المجد والجاه والسلطان فصارت « ملكة النيل » كما سماها أهل الحجاز عندما حبّت وزارت الروضة النبوية في خلال سنة ١٨١٤ .
- ١٢ - وابن نابليون كان « ملك روما » عاصمة النصرانية . وابن محمد على (ابراهيم) كان « أمير مكة » عاصمة الاسلام ^(٢) .
- ١٣ - ونابليون كان ضابطاً في الجيش الفرنسي قبل أن يحكم فرنسا . ومحمد على كان ضابطاً في الجيش التركي قبل أن يحكم مصر .
- ١٤ - ونابليون بدأت شهرته العسكرية باخراج الانجليز من ثغر طولون (فرنسا) . احتلوه في ٢٨ أغسطس سنة ١٧٨٦ وأجلو عنه في ١٧ ديسمبر سنة ١٧٨٦ ، ومحمد على بدأت شهرته العسكرية باخراج الانجليز من ثغر الاسكندرية ، احتلوه في ١٧ مارس سنة ١٨٠٧ وأجلوا عنه في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ .
- ١٥ - ونابليون حضر من فرنسا الى مصر - ليحتاها - في سنة ١٧٩٨ ، ومحمد على حضر من تركيا الى مصر - ليخرجه منها - في سنة ١٨٠١ ^(٣) .
- ١٦ - ولو لا نابليون ما كان محمد على ، لانه لو لا مجىء نابليون الى مصر لاحتلها ما جاء محمد على الى مصر لاخراجه منها
- ١٧ - ولو لا مساعي قناصل نابليون لتأييد ترشيح محمد على للولاية على مصر
ولا لثروة ورثها لا لأحد بل لنفسه وحده » . وقوله لستر باركر قفصل الجلسة في مصر : « حضرت الى هذه البلاد وانا لا املك شيئاً ^(٤) »

(١) بدأ أول نجم نابليون من بعد ان طلق جوزيفين ليتزوج ماري لويس بنت امبراطور النمسا ^{“Mahmoud, comme s'il eût voulu reporter sur Ibrahim-Pacha tout l'honneur de cette pacification, nommait celui-ci prince de la Mecque. Le but machiavélique du Sultan était facile à saisir. Cette dignité, suprême dans l'Empire, donnait le pas à son titulaire sur tous les vizirs, et créait ainsi au fils une position hiérarchiquement supérieure à celle de son père. (p.149)}

(٣) حضر محمد على الى مصر مرتين : مرة في سنة ١٧٩٩ فيها شهد موقعة أبي قير الى انتصر فيها بونابرت على الجيش التركي الذي كان تحت امرة الوزير مصطفى باشا وقد نجا محمد على مع من نجا وعاد الى بلاده . ثم عاد مرة أخرى في سنة ١٨٠١ مع الجيشين التركي والانجليزى لاخراج الجيش الفرنسي من مصر وانتصر .

لغاية انجلترا بترشيح حليفها محمد بك الائفي ، ان السلطان لا يبعد محمد على عن مصر عينه واليَا على جده ليخلو الجو الي محمد بك الائفي وإلى انجلترا حليفته . إلا أن فنال نابليون كانوا لها بالمرصاد ، أحبطوا مسامي ودسائس انجلترا وأيدوا مبادرة محمد على . ورجال السياسة الذين عملوا لنصرة محمد على هم : ماتيو دي لسبس (Ferdinand de Lesseps) والد فرديناند دي لسبس Mathieu de Lesseps صاحب قanal السويس ، ودروفيتi Drovetti فنصل نابليون في مصر ، وبارانديه Parandier القائم بأعمال حكومة فرنسا لدى الباب العالي ، ومانجين Mangin القائم بأعمال القوميسارية في مصر ، فقد كتب مسيو ماتيو دي لسبس الى حكومته يقول « ييدولى ان البياشى محمد على هو من دون غيره من كل الزعماء أهل لأن يقضي على الفوضى التي تسوق مصر الى الخراب وتسوق أهلها الى الشقاء » (١) .

وفي هذا الصدد يقول المرحوم الياس بك الايوبي (وفي ٩ يوليو وصل الى مصر كابجى من دار السعادة - وكان محمد على منذ ان قبل الولاية قد بعث بالهدايا النفيسة الى رجالها ليحملهم على اقرار ما فعله علماء مصر . وبعد أن تردد الديوان كثيراً وماطل كثيراً اتقاد في نهاية الأمر الى نصائح السفير الفرنساوي هناك (وكان قد أوصاه محمد Mathieu de Lesseps على خيراً القنصل الفرنسي ببصرا واسم ماتيو دي لسبس)

(١) ورد في كتاب (محمد على والي مصر سنة ١٨٠٥ — ١٨٠٧ ميائى) :

“ Drovetti allait les défendre avec une habileté peu commune, s'inspirant des deux principes que Lesseps lui léguait pour régler sa conduite; favoriser d'une part Mohamed Aly, qui, dans la grande détresse où était alors plongée l'Egypte, paraissait le seul homme capable d'y rétablir l'ordre, de l'autre prendre en tout et partout le contrepied de la politique anglaise. Ces deux principes n'allaien pas tarder d'ailleurs à se confondre en un seul. V.- Mohamed Aly, Pacha du Caire, 1805-1807.”

إلي ان قال :

“ Laissé à lui seul, Drovetti eut le mérite de reconnaître en Mohamed Aly le seul homme capable de gouverner l'Egypte, le seul aussi capable de mettre le pays à l'abri d'un envahissement en cas de rupture avec l'Angleterre. La justesse de ses vues allait, avant peu de mois, recevoir une éclatante confirmation.”

— وهذا المعنى يقول كلوت بك (صحيفة ١٠) —

“ La France par l'intermédiaire de son consul Mr. de Lesseps intervenait en faveur de Mohamed Ali - Clot Bey. P. 10. ”

وهو أبو فرديناند دى لسبس صاحب فناة السويس » . (راجع صحيفه ٦٠ من كتابه (محمد على : سيرته واعماله وآثاره) : الى أن قال في صحيفه ٦٩ (اقبل قنصل فرنسا يضع الالغام تحت مسامي زميله القنصل البريطاني ويحول الى محمد على خدمة خمسة وعشرين ملوكاً فرنساوياً كانوا تحت لواء الالفي . وما فتئ يؤكّد للسفير الفرنسي في الاستانة أن محمد على صديق صدوق لفرنسا . وان بقاءه والي على مصر يتفق دون وجود سواه أياً كان مع المصالح الفرنساوية في القطر . وأقبل السفير الفرنسي في الاستانة يucchد مسامي الرسول الذي أرسله محمد على إليها بالحالات السمينة . وبعدها بكل التفود الذي كان يستمدّه من مولاه نابليون الأول صاحب الكلمة العليا في اوروبا بعد ان قهر المساويين والروس في وقعة اوسترتلز سنة ١٨٠٥) .

١٨ - ونابليون سكن في سراي الالفي بك بالأزبكية (١) ومحمد على باشا سكن مثله في سراي الالفي بك بالأزبكية وفيها أبصه العلامة الكسوة في ١٣ صفر سنة ١٢٢٠ من الهجرة ، وفيها أيضاً تلى فرمان توليه في ٢ ربیع آخر سنة ١٢٢٠ .
 ١٩ - لما زار ابراهيم باشا في أخرىات أيامه ملك فرنسا سكن قصر الأليزيه في الجناح الذي سكن فيه نابليون ونام ابراهيم باشا في نفس السرير الذي نام فيه نابليون بعد هروبه من جزيرة الـ Elbe .

٢ - ونابليون عندما كان يزور الازهر كان يسمى نفسه (الشیخ علی) بونابت

— (١) —

“ Le 25 Juillet, le général en chef, fit son entrée dans le Caire, descendit à la maison d'Elfy-Bey, située sur la place Ezbékieh. V. Désiré Lacroix. P. 125.”

وقال المؤرخ بانفيل :

“ Bonaparte établit son quartier général, place Ezbékieh, dans le palais d'Elfi-Bey. V. Bonaparte en Egypte. par Jacques Bainville. P.36.

حاشية : انشئت حدائق الازبكية في عهد المنصور له الخديوي اسماعيل باشا . وكانت من قبل بركة حفرها الامير أزبك . وكان يقوم على هذه البركة قصر المرحوم محمد بك الالفي احد امراء الممايلك وقد اتخذه نابليون مسكنأً له فيما بعد . ثم سكنه القائدان كلير Kléber ومينو Menou ثم سكنته الوالي محمد على باشا الكبير . (راجع صحيفه ٨ من كتاب « بعض حدائق القاهرة » بقلم الاستاذين حسين البابلي وعزيز قدرى) .

ليست ممليلاً اليه المصريين ولويومهم بأنه حضر لنصرة الإسلام وحماية المصريين من ظلم الترك والمالية . واسم (على) يدخل في اسم محمد على باشا ، و (علي) أيضاً هو اسم الملوك الذي خدم نابليون في فرنسا وكان له حظوة عنده . و (محمد على) هو اسم ابن زبيدة التي تزوجها الجنرال (مينو Menou)^(١) قائد نابليون الذي حكم مصر بعد اغتيال الجنرال كليبر . ولما أراد أن يرافقه أحد أنصاره St. Denis في منفاه استتر تحت اسم (على) وادعى انه مملوك نابليون . و (على) هو اسم ابن حاكم قوله الذي رأس القوة التركية التي سافرت من قوله إلى مصر وكان مساعدته فيها محمد على . ولما سعى نابليون لاستئلة ولاة الشرق الأدنى أرسل رسولاً اسمه لافاليت Lavalette إلى (على) تبليفي Tebeléni باشا يائينا « البانيا » . يقابل هذا ان أحمد أغاخازنندا ره الذي أرسله محمد على إلى جزيرة العرب لقمع ثورة الوهابيين سموه (أحمد أغاخ بونابرته) لشدة شأنه^(٢) . و محمد على نفسه سموه (نابليون الشرق The Napoleon of the East) بعمره . و نابليون نفسه لقبوه (المصري Egyptien) . وورد في تاريخ (نابليون الثالث)

Qui serait en état de faire un nouveau Brumaire, sinon "la neveu de l'Egyptien." ٨٥ وفي صيغة

٢١- وزابليون بعد وفاة أبيه كفله عمّه محمد علي بعد وفاة أبيه كفله عمّه طوسون اغا

^(٣) - ونابليون بايعه الفرنساويون بالاجماع امبراطوراً عليهم محمد علي بايعه

المصر ون بالاجماع واليَا (٤).

(١) وقد ولد له منها ولد سماه جاك سليمان مراد واسمها مقيد في سجلات محكمة رشيد الشرعية.

Ahmed-Agâ, son Kaznadar, dont la réputation militaire (۱) était si grande en Egypte, qu'on ne le désignait que par le surnom de Bonaparte.

(٣) نال ١٥٠٠ صوت ضد ٣٠٠٠ صوت لصالحه . والى هذا الاجماع اشار نابليون عندما قال في أول دسمبر سنة ١٨٠٥ :

"Je monte au trône où m'a appelé le vœu unanime du Sénat, du peuple et de l'armée. (V. la Vie de Napoléon. P. 148.)

(٤) يابعه العلماء والاعيان والتجار والموظفون وأصحاب الرأي والوواجهة في البلد . وعن هذه المائة كتب قصصاً فرنساً في مصر وقشتالاً في إسبانيا .

“ C'est la première fois qu'on voit un pacha proclamé par le peuple.”

: Driault المؤرخ دريو وقال

" Il ne faudra point oublier que Mohamed Ali fut l'élu du peuple et que sa dynastie est d'origine et de fondation populaire. V. Driault. P. 212

٢٣ - ونابليون كان من أصل أجنبي عن فرنسا^(١) ويسميه المؤرخون Le corse.

ومحمد على كان من أصل أجنبي عن مصر^(٢) ويسميه المؤرخون Le Rouméliote أي

(١) أبوه ايطالي من عائلة بونابيرته Buonaparte وامه ايطالية من عائلة رامولينو Ramolino اسمها Loetitia . ولد نابليون في اجا كسيو بجزيرة كورسيكا بعد ان تنازلت عنها جمهورية جنوا Gênes الايطالية الى لويس الخامس عشر ملك فرنسا سنة واحدة فقط (هي سنة ١٨٦٨) . وكانت امه لا تتكلم الا اللغة الايطالية . وفي وثيقة زواجه بجوذيفين كتب امه وامضي هكذا : ايه هكذا Napoleone de Buonaparte

ويقول احد مؤرخه :

“ Il supporta stoïquement les moqueries de ses camarades qui l'appelaient “ Le Corse ” et la “ Paille au nez ” parce qu'il prononçait son nom “ Napoillione. ”

ومن الكلمات التي كانت ترد كثيراً على لسانه عند ما كان يتحمس قوله :

— “ Di questo non c'e dubbio (Il n'y a pas de doute là dessus) ”

— “ che mi taglia l'anima ” وقوله :

— “ il sole mi brucia il cervello ” وقوله :

والمعروف ان امه كانت لا تحسن الكلام باللغة الفرنساوية :

“ La mère de Napoléon parlait mal le français ; on connaît son fameux mot “ pourvou que cela doure ” pour dire “ pourvu que ça dure.”

ويروى المؤرخ لينوتر Lenôtre ان احد ملوك ايطاليا دعا نابليون — وكان وقتئذ فصل فرنسا الاول Premier Consul — لشهود حفلة التي فيها احد الشعرا (وامه جياني) قصيدة فهتمأ نابليون باللغة الفرنساوية . فالتفت اليه الملك الايطالي وقال له « الاست ايطالياً مثلنا ؟ الاست واحداً مننا ». وهذا الصدق :

“ Celui pour qui la fête était donnée ne comprit d'ailleurs aucune de ces allégories. Il ne prêta attention qu'aux vers d'un improvisateur italien, le célèbre Gianni, qui débita une pièce de circonstance. Comme le premier consul répondait au compliment par quelques mots en français le pauvre roi, qui n'en manquait pas une, lui dit : “ Ma in sommo, siete Italiano, siete nostro. (Mais, en somme, vous êtes Italien, vous êtes des nôtres) ”. Aussitôt Bonaparte riposta, d'un ton coupant, comme une lame de sabre : “ Je suis Français ”. Et il tourna le dos à son inépte interlocuteur. V. “ Napoléon ” par G. Lonôtre. P. 69

ويقول المؤرخ Rosny :

“ Napoléon fut conduit à Autun où il devait apprendre quelque peu le français. Il n'avait guère eu le temps de s'initier grossso modo à cette langue, lorsqu'on le transféra à Brienne.” V. “ Napoléon le Grand.” par Rosny ainé.

(٢) ترك ولد في قوله من اعمال مقدونيا ومقدونيا كان يطلق عليها في عهد السلطنة العثمانية

اسم (رومالي) la Roumérie .

الروملي لأن سلاطين آل عثمان سموا مقدونيا « الروملي » .

٢٤ - ونابليون نودى به امبراطوراً في شهر مايو ، ومحمد على نودى به والياً في شهر مايو واعتمد والياً على مصر في ١٧ مايو ، نابليون في سنة ١٨٠٤ و محمد على في سنة ١٨٠٥ وكان عمر نابليون ٣٤ سنة و عمر محمد على ٣٥ سنة .

٢٥ - ونابليون أنشأ الأسطول الفنساوي ولم يكن لفرنسا أسطول يذكر ،
ومحمد على أنشأ الأسطول المصري ولم يكن لمصر أسطول أصلاً^(١) .

٢٦ - ونابليون كان رجلاً نفاذًا جبارًا في قوله وفي فعله يقول للشيء « كن
فيكون » يعلم عمل سنة في شهر . وعمل شهر في يوم . وعمل يوم في لحظة . عمل في
مدينة البندقية في أربعة أيام ما لم يعلمه الإيطاليون في أربع سنوات ، ومحمد على مثله
عمل في مصر في أقل من نصف قرن ما لم يعلمه سلاطين آل عثمان في ثلاثة قرون .

٢٧ - وفي زمن حملة نابليون - وبالتحديد في ٨ مارس سنة ١٨٠١ - نزل
الإنجليز بغير الاسكندرية واحتلوه إذ وصل أسطول الإنجليز تحت امرة لورد كيت
Keith ثم زحف الإنجليز إلى القاهرة وانتهى الأمر بتسلیم الجنرال مینو (الذى خلف
الجنرال كلير بعد اغتياله عن يد سليمان الحلبي^(٢)) وجلاء الفنساويون عن القطر

(١) ما كان مصر في ذلك الوقت أسطول تجاري ولا حربى وما كان في مصر مدرسة بحرية تخرج
ملاحين يخوضون البحار ويعرفون موقع البلاد وموضع الموانئ والمنائر . وقد روى أحد المؤرخين أن
أمير مصر ياً أبجر من نهر الاسكندرية قاصداً جزيرة مالطة فتجوّل في البحر الا يضى شهراً باحثاً
عن مالطة فلم يرته إليها فرجع إلى الاسكندرية مؤكداً أن جزيرة مالطة لا وجود لها إلا في خياله من
زعم وجودها . وهذا الأصل :

“On cite comme exemple, sous les derniers règnes, un amiral égyptien
qui, parti d'Alexandrie, ne put jamais relever le gisement de l'île de
Malte, et revint un mois après, en soutenant que Malte, - une fantaisie
de géographe, - n'existant que sur le papier.”

ولما دعا السلطان محمود محمد على لقمع نوره الوهابيين بنى أول أسطول في ترسانة بولاق وحمله على
١٨ ألف جل إلى السويس . كما أنشأ ترسانة في السويس . كما أنشأ ترسانة في الخرطوم . وقد عين
محمد على صهره محمر بك لاماارة الاساطيل المصرية فكان أول أمير وناشر للبحرية المصرية . ولما
دمر الحلفاء الأسطول المصري في تافارين (في بلاد اليونان) أنشأ محمد على ترسانة الاسكندرية
فأخرجت أول سفينة في يوم ٣ يناير سنة ١٨٣١ اسمها « المحلاة الكبرى » وكانت مسلحة عائمة
مدفع ولم تمض بضع سنوات حتى أصبح الأسطول المصري رابع أسطول في العالم بن على قرنه
الأسطول المساوى وفاق بكثير الأسطول العثماني .

(٢) السكين الذي قتل به سليمان الحلبي الجنرال كلير محفوظ في متحف كاراكاسون بفرنسا .

المصرى في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠١ . وفي زمان محمد على نزل الانجليز في ثغر الاسكندرية في ١٧ مارس سنة ١٨٠٧ . وبعدما استولوا عليها أرسلوا قوة عسكرية الى رشيد للاستيلاء عليها الا أن أهالى رشيد وعلى رأسهم حاكمها العسكري الباسل على باك السلانكى فتكوا بهم فتكا ذريماً . فلم ير الجنرال فريزير الانجليزى الا التحصن فى الاسكندرية . ولضمان عدم الهجوم عليه قطع حاجز بحيرة مريوط على ان الامر اتى به الى اخلاقه الاسكندرية في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ . ولما اتصل بناء جلاء الانجليز عن مصر وردت الى محمد على التهانى من السلطان وأعاد اليه ابنه ابراهيم الذى كان رهينة عند السلطان .

ومن غريب المصادفات أن يعود الانجليز بعد ٧٥ سنة ويحتلوا القاهرة في يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ على أثر الثورة العربية . وعسى أن ينجلو عنها في ١٤ سبتمبر الم قبل ٢٨ - ونابليون أنشأ امبراطورية عظيمة شملت فرنسا وألمانيا وإيطاليا وبليجيكا وهولندا وإسبانيا ^(١) . ومحمد على أنشأ امبراطورية عظيمة شملت مصر والسودان وجزيرة العرب وفلسطين وسوريا وجزيرة كريت .

٢٩ - والبابا - وهو خليفة المسيح - حرم نابليون حرماً كنسياً واعتبره من الخوارج المارقين . والسلطان محمود - وهو خليفة الرسول - أعلن عصيان محمد على واعتبره من الخوارج المارقين (بعد سقوط عكا في يد الجيش المصرى في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢) .

٣٠ - ونابليون كاتب يكره الاحتفالات والزيارات التي يعملها الفرد أو الجماعة لذكريه أو لاظهار ولائه . يقول عن هذه الاحفلات وعن الزيارات أنها خربلات

"En 1809, l'Empire français, et ses dépendances, a atteint (١) son maximum de grandeur,. Il s'étend loin au delà de ses frontières naturelles, le Rhin et les Alpes. La confédération du Rhin, qui comprend, entre autres, la Westphalie, la Saxe et la Bavière, est sous le pied du Maître.

Il s'est fait roi d'Italie, une Italie réduite dont Eugène est le vice-roi. Murat règne à Naples, dominé par sa femme, Elisa Bonaparte. En Espagne, Joseph est un roi funambulesque. P. 202. Napoléon le Grand, par Rosny.

لاتليق بعزمة الرجل العظيم بنفسه وبأعماله . حدث انه بعد أن انتصر على المساوين في موقعة مارنغو Marengo الشهيرة أراد العودة إلى باريس فلما وصل إلى مدينة ليون اتصل به ان شعب باريس يريده أن يقيم له أقواس نصر ويستقبله باحتفالات وزينات فكتب في ٢٩ يونيو سنة ١٨٠٠ من مدينة ليون إلى أولى الحل والعقد في باريس يخبرهم بأنه لا يريده من هذا شيئاً^(١) .

ومحمد على مثله يكره مظاهر الفخامة والأبهة ويميل إلى البساطة . حدث انه لما عاد ابنه ابراهيم باشا من بلاد الحجاز بعد أن قهر الوهابيين استقبله الشعب المصري استقبلاً باهراً جداً وأقام له معلم زينات كثيرة . اتدرى ماذا كان من أمر محمد على ؟ انتزوى في عقر دار واكتفى بأن شاهد الموكب من شرفة تطل على الشارع وترك لأنبه ابراهيم الاستئثار وحده برؤيه الشعب ملتقاً حوله مظراً فرحة وابتهاجه ...

٣١ - ونابليون أطلق اسمه على مدينة ألمانية « ولهلمسوهـي Wilhelmshöhe »^(٢)
وسماها « نابليـونـوهـي Napoléonshöhe »^(٣) ، محمد على أطلق اسمه في أول فبراير سنة ١٨٣٩ على بلدة في السودان « فامكة » في منطقة فازنجورو وسماها « حلة محمد على » أو « مدينة محمد على » وقد اندثرت المدينة فزال الاسم بزوال المدينة وهي تقع في

“J'arriverai à Paris à l'improviste. Mon intention est de n'avoir (١) ni arc de triomphe ni aucune espèce de cérémonie. J'ai trop bonne opinion de moi pour estimer beaucoup de pareils colifichets. Je ne connais pas d'autre triomphe que la satisfaction publique. P. 109-110.

(٢) ومن المصادرات الغربية أيضاً أنه لما انتصرت المانيا على فرنسا في حرب السبعين وسلم نابليون الثاث نفسه إلى ملك بروسيا امر بسمارك باعتقاله في هذه المدينة التي كان عمها نابليون الأول سماها باسمه .

“Nous sommes allés à pieds Jusqu'à Wilhelmshohe, superbe château (٣)
à deux milles de Cassel, le plus remarquable que j'aie vu en Allemagne,
à l'exception de Postdam. Nous avons pu voir l'échafaudage élevé sur
la façade qui est du côté de Cassel, qui avait servi aux ouvriers chargés
d'enlever l'inscription “Napoleonschohe” et qu'on avait laissé là dans
l'intention de l'utiliser pour faire remettre l'ancienne inscription
“Wilhelmshohe.” (Napoléon et Byron. P. 94.)

وسط جبل فامكة في الجنوب الشرقي لروصirs وتبعد ٢٥ ميلا عن حدود الحبشة وكان غرض محمد على من إنشاء هذه المدينة صد غارات الأنجاش على السودان وإنشاء معسكرا يحمي رجاله الذين استعملهم لاستخراج الذهب من جبال «فاز اوغل» ومن نهر اسمه «قت» .

٣٢ - ونابليون أسس في فرنسا مدينة سمّاها نابليون فانديه Vendée أصلها قرية خربة اسمها روش على نهر يون (la Roche sur Yon) ^(١) ، ومحمد على أنشأ مدینتين في السودان (الخرطوم في سنة ١٨٢٣ « ١٢٣٨ من الهجرة » . وكسلة في سنة ١٨٣٤ « ١٢٤٩ من الهجرة » .

٣٣ - ونابليون أول من شرع في تنفيذ فكرة حفر قanal السويس اما من البحر الايض الى البحر الاحمر . أو من النيل الى البحر الاحمر ^(٢) . لأن حكومة فرنسا عندما أمرت بتجهيز حملة لغزو مصر كفت قائد الحملة أن يشق بربخ السويس وأن يجرى الاعمال اللازمة ليضمن للجمهورية الفرنساوية الاستيلاء على البحر الاحمر استيلاء تاماً (وثيقة ١٢ أبريل سنة ١٧٩٨) وب مجرد وصول الحملة الى مصر واستيلاء بونابرت على القاهرة بدأ بعمل التمهيدات اللازمة لحفر القanal : فساور هو بنفسه مع بعض المهندسين الى السويس وعاين أراضي المنطقة . الا أن الظروف لم تمكنه من تنفيذ الفكرة ^(٣) . وفي عهد محمد على أعاد ثلاثة من كبار المهندسين الفرنسيين بين الذين كانوا في

(١) اصدر امره بتأسيس هذه المدينة في ٢٥ مايو سنة ١٨٠٤ . وبعد ما اتفق في تشييدها ٤٠٠٠ جنيه (عشرة ملايين فرنك ذهب) افتتحها بنفسه في يوم ٨ أغسطس سنة ١٨٠٧ ولكن بعد انصار امبراطورية نابليون عاد الى المدينة اسمها القديم . وقد اقيم في احد مبانيها تمثال لنابليون .

Année 1799. Janv. 2. Belbeys.— Je m'occupe dans ce (٢) moment-ci à faire faire les opérations nécessaires pour désigner l'endroit par où l'on peut faire passer les eaux pour joindre le Nil et la mer Rouge. Cette communication a existé jadis, car j'en ai trouvé la trace en plusieurs endroits. Vie de Napoléon p. 70.

: (٣) وكتب نابليون في ٢٧ فبراير سنة ١٨٠١ يقول :

“Le canal de Suez, qui joindrait les mers de l'Inde à la Méditerranée est déjà tracé : c'est un travail facile et de peu de temps qui peut produire des avantages incalculables au commerce. V. Vie de Napoléon. P. 117.

خدمة محمد على (وهم لينان بك Linant المشرف على حفر الترعة في مصر . وجاليس بك Galice مدير إدارة . وموجل بك Mougel مدير خزانات النيل) النظر في أمر حفر القناة الا أن ظروفًا سياسية - منها معارضه انجلترا - حالت دون تنفيذ المشروع .

٣٤ - ونابليون أول من فكر في إنشاء القنطر الخيرية . ومحمد على أخذ عن نابليون الفكرة وشرع في تنفيذها ووضع أول حجر في سنة ١٨٤٧ ^(١) الا أن ظروفًا مالية وفية حالت دون إقام المشروع بعد أن أفق محمد على نصف مليون جنيه ^(٢) .

" L'idée d'un barrage du Nil conçue par le général (١) Bonaparte, - reçut un commencement d'exécution. (V. Mouriez P. 32.) " وقال كاوت بك :

" Napoléon avait dit, dans les notes rapidement écrites, d'après les impressions que lui avait laissées son passage en Egypte :

" Un travail que l'on entreprendra un jour sera d'établir des digues qui barrent les branches de Damiette et de Rosette au Ventre-de-la-Vache, ce qui, moyennant des bâtardeaux, permettra de laisser passer successivement toutes les eaux du Nil dans l'est et l'ouest, dès lors de doubler l'inondation. "

" Les ingénieurs employés par le vice-roi n'ont pas dû lui laisser ignorer et le projet conçu pendant l'expédition française, et les études entreprises pour en préparer l'exécution. Méhémet-Ali a été frappé de l'importance d'un travail semblable, par lequel les possesseurs de l'Egypte se rendraient maîtres absolus du Nil, c'est-à-dire auraient en leurs mains un moyen tout puissant d'obtenir du sol tout ce qu'il peut donner. V. P. 370 T.2. l'Egypte par Clot-Bey.

" Chaque portion de travail exécutée ne se trouvait pas en (٢) parfaite harmonie avec celle qui l'avait précédée, quand elle ne l'annulait pas tout à fait, et qu'en fin de compte, après avoir remué de la terre, du bois, de la pierre et des métaux, dépensé cent mille bourses et plus, Méhamet-Ali, parvenu à une lassitude complète, pressé d'ailleurs par les tristes conjonctures de la politique extérieure, se résigna à abandonner à peu près complètement le barrage. (p.104)

٣٥ - ونابليون أول من ابتكر طريقة تنظيم جيشه في حالة الدفاع بشكل مربعات (استعملها في موقعة أمباة التي انتصر فيها على الملك ^(١)) ومحمد على أول من أخذ عنه الطريقة نفسها واستعملها في بلاد العرب عندما حارب الوهابيين .

٣٦ - محمد على أول من استعان بضباط من جيش نابليون لتنظيم الجيش المصري منهم الكولونيل « سيف Séves » الذي أسلم وصار سليمان باشا الفرنساوي والكولونيل « فيسير Vaissières » والكولونيل « بلانا Jules Planat » الذي صار في وقت ما رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري و« سيريزى Cérisy » الذي أنشأ ترسانة السكندرية وأنشأ الأسطول المصري . كما استعان بطائفة من رجال نابليون ومن علماء فرنسا مثل مسييه بيسون Besson (وكان ضابطاً في بحرية نابليون) ، ولينان باشا Linant وجاليس Galice وسولون Solon وموجيلا بك Jorelle Lambert ولامبير Clot Bey وجوريل Lambert وبيرون Fresnel وفرييل Perron وتيودير Thibaudiere وروسيه Rousset وغيرهم وغيرهم وهم كثير .

٣٧ - ونابليون انتزع من البابا سلطنته . ومحمد على استصدر من شريف مكة فتوى بأن السلطان محمود خانأً ويستحق العزل

٣٨ - ونابليون استولى على أملاك الكنائس في فرنسا ^(٢) ومحمد على استولى على نصف ايرادات أوقاف الجماعات والمساجد ثم مالبث أن استولى على البقية الباقي منها . ولم يقف عند هذا الحد بل أمر بفحص جميع الأطيان الرزقة والأوقاف ثم حلها وأمر الكشاف بالاستيلاء عليها ولم يبق من الأطيان الموقوفة شيئاً على أصله .

“ Pour résister à la cavalerie des mamelouks, à leur manière de combattre et à leurs charges impétueuses, le général-en-chef, n'ayant pas lui-même de cavaliers, inventa le fameux carré dont l'efficacité se reconnut tout de suite. V. Bainville. P.32. ”

“ Napoléon ayant enlevé au Saint Père une partie de ses domaines. V. Napoléon le Grand par Rosny ainé.

إلى أن قال :

“ Napoléon gardait les terres de l'Eglise et même en prenait de nouvelles, tellement que les Etats du Pape menaçaient d'être réduits à néant. P. 193. ”

٣٩ - وأسطول نابليون حطمه الانجليز في أبي قير في أول أغسطس سنة ١٧٩٨^(١) كما حطموه أسطولا آخر في ترافالغار Trafalgar «الطرف الأغر» في ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٠٥ ، وأسطول محمد على حطمه الانجليز وحلفاؤهم في نافارين (اليونان) في ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧^(٢) .

٤ - وتركيا أعلنت الحرب على نابليون لما غزا ديار مصر . وتركيا أعلنت الحرب على محمد على لما غزا فلسطين وفتح غزة ويفا وحاصر عكا ٤١ - ورأى نابليون في بابا روما وأساقفته مثل رأى محمد على في سلطان تركيا وزرائه . لما اشتد الخلاف بين نابليون والبابا ورجال الدين قال :

On peut tout acheter, même le Pape et l'Eglise catholique . . .
V.P. 131. "Stein" par Grunwald.

وقد فعل^(٣)

ولما اشتد الجفاء بين محمد على وسلطان تركيا قال :

«أني أعرف الاتراك . هم قوم يبيعون أنفسهم ان وجدوا من يشتريها .»
قال هذا لما أرادت تركيا اخراجه من مصر وتعيينه واليًا على سلانيك وأمرته بتسلیم ولاية مصر الى خلفه موسى باشا^(٤) .

(١) وقد بلغت خسائر الفرنسيين ١٧٠٠ قتيل و ١٥٦٠ جريحًا و ٣٠٠٠ اسير اما خسائر الانجليز فكانت ٢١٨ قتيلا و ٦٧٧ جريحا

(٢) وقد بلغت خسائر الاسطول المصري ٨٩ سفينة كانت تحت قيادة محرب بك (زوج بنت محمد على)

“Napoléon offrit une tiare qui fut payée à l'orfèvre^(٢)
Auguste 180.000 francs ; elle était couverte de 2.636 brillants pesant
358 carats ; la croix seule en était composée de 12 brillants, de 352
roses de Hollande, de 267 rubis d'Orient, de 68 émeraudes, de 10 saphirs,
de 2.174 perles.”

إلى أن قال المؤرخ روسي :

“Les présents qu'il offrit au Saint-Père furent splendides; outre la tiare de 180.000 francs, il lui fit don d'une chapelle en or repoussé qui ne fut, d'ailleurs, ni terminée, ni livrée, et qu'on envoya en 1810 à Saint-Denis. Chacun des cardinaux reçut un rochet en dentelles, de la valeur de 10.000 francs; on distribua au service d'honneur et aux domestiques 220.000 francs de diamants. Quant aux tabatières, nul ne pourrait les compter; tout l'atelier d'Isabey était occupé à peindre en miniature le buste de l'Empereur que l'orfèvre Biennais montait sur des boîtes d'or, et qu'on distribuait à foison. (V. Napoléon, Croquis de l'épopée P. 97 et 107.)

(٤) راجع ماؤرد في صحيفة ٦ من هذا الكتاب

- ٤٢ - وانجلترا حارت نابليون . وانجلترا حارت محمد على
- ٤٣ - ونابليون أول من فك زمام أطيان فرنسا ، ومحمد على باشا أول من فك
زمام أطيان مصر (أصدر أمره وهو غائب في الحجاز) .
- ٤٤ - ونابليون بونابرت أصدر في خلال سنة ١٧٩٨ في مدة احتلاله مصر
جريدة « الديكاد Décade Egyptienne » ، والـ« الكوريه Le Courrier d'Egypte »
- ٤٥ - محمد على باشا أصدر في مدة ولاته على مصر جريدة « الواقع المصرية » في ٢٠
نوفمبر سنة ١٨٢٨ و « جورنال الخديوي » .
- ٤٦ - ونابليون عفا عن السيد عمر مكرم، ومحمد على عفاف عن السيد عمر مكرم (بعد أن
غضب عليه ونفاه) . كتب نابليون إلى حكومته في ٣ من شهر مارس سنة ١٧٩٩ يقول:
- “ J'ai pardonné aux Mamlouks et aux Kachefs que j'ai pris à El-Arych, j'ai pardonné à Omar-Makram, cheikh du Caire, j'ai été clément envers les Egyptiens . . . ” V. “ Bonaparte en Egypte.” par Désiré Lacroix. P. 275.
- ٤٦ - ونابليون بدأ يتعلم القراءة والكتابة باللغة الانجليزية وهو في العقد الخامس
من عمره « في سن ٤٥ سنة » ^(١) ومحمد على بدأ يتعلم القراءة والكتابة باللغة العربية
وهو في العقد الخامس من عمره « في سن ٤٥ سنة » ^(٢) .

(١) كان مملوكاً لـ لاس كازم مؤرخ حياته وهو صاحب كتاب

Le Mémorial de Sainte-Hélène وهو الكتاب الذي رفع مؤلفه من طبعه وأعاد طبعه ٢٠٠٠ جنيه
(٢) يقول رفاعة بك في كتابه « مناهج الاباب » ان محمد على (تعلم القراءة والكتابة في
اقرب وقت وعمره ٤٥ سنة اذ ذاك جبراً لما فاته في زمن الصغر وتداركاً لما يزيد في مجده في زمن
الكبر . . .) . وقد تولت تعليمه القراءة والكتابة سيدة جركسية كانت على ثني من
العلم والأدب عرفت باسم أوقومنش أى « الاستاذة » (أوقومنش قادن افندى) وكانت هذه السيدة
تود كثيراً الأميرة زينب هامن بنت محمد على باشا صاحبة الاراضي المقام عليها فندق شبرد وسائر المباني
المجاورة لها . وزينب هامن هي التي تزوجت فيما بعد بـ كامل باشا أحد كبار رجال الدولة العاملية وقد سمي باسمه الشارع
الواقع فيه فندق شبرد شارع كامل (وهو الآن شارع ابراهيم باشا) . ومن السيدات اللاتي أخذن العلم والأدب
عن أوقومنش هذه حرم الاميرال حسن باشا الاسكندراني ويقال ان أوقومنش هذه كتبت مصحفاً يخط
يدها ويظن ان هذا المصحف محفوظ حتى الآن عند ورثة الامراء حليم باشا (اما الامير سعيد
باشا حليم او الامير عباس باشا حليم) . ومن تعلم لغة أجنبية على كبير : عصمت اينونو رئيس جمهورية
تركيا . ومدحت باشا الصدر الاعظم . والسيد محمد جمال الدين الافقاني . وسعد باشا زغلول .
والامام الشیخ محمد عبده . وابراهيم بك الملباوي . ومصطفى باشا عبد الرانق . والعلامة انشتين
صاحب نظرية النسبية تعلم اللغة الانجليزية وعمره ٦٦ سنة .

٤٧ - وكان من عادة نابليون إذا ما شغلته بعض الشواغل أن يذرع الغرفة التي هو فيها ذهاباً وجائحة واضعاً يديه خلف ظهره . وكان محمد على مثله يذرع الغرفة التي يكون فيها واضعاً يديه خلف ظهره . (١)

٤٨ - سمي المصريون نابليون بونابرت عندما كان في مصر السلطان «الكبير» وسموا محمد على محمد على باشا «الكبير» (٢).

٤٩ - وفي المقطم اجتمع قصر محمد على بقلعة نابليون.

٥٠ - ونابليون كان يحب لعبة الشطرنج (٣) . ومحمد على كان يحب لعبة الشطرنج (٤)

٥١ - وفي مدة وجود نابليون في مصر - في ١٢٢ كتوبر سنة ١٧٩٩ - قامت ثورة في القاهرة عليه وعلى جنوده قتل فيها من جنود نابليون ٨٠ منهم الجنرال دوبوي Dupuis والضابط سولكوسكي Sulkoski ياور بونابرت (وهو الذي أطلقوا اسمه على الحصن الذي شيدوه داخل جامع الظاهر بيبرس بالعباسية) . وفي عهد ولاية محمد على قامت ثورة في القاهرة . ثار الالبانيون على محمد على . وقصدوا السراي التي كان يقطنها ونهبوا

“C'était du reste l'air qu'il chantait, en se promenant les deux mains derrière le dos, dans ses heures de contrariété.” (V. “Napoléon. Croquis de l'épopée.” par Lenôtre P. 149)

ويقول موريز عن محمد على :

“Il se tient très droit : il a souvent les mains croisées derrière le dos.”

(٢) في مكتب حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدق باشا صورتان الاولى لحمد على باشا الكبير والثانية لنابليون بونابرت وما البطلان المذان يعجب بهما صدق باشا بين أبطال التاريخ

(٣) حدث ان ارسل اليه شخص اسمه الفنستون Elphinston لعبة الشطرنج من بلاد الصين هدية اعترافاً بجميل له عليه هو عنياته بأخ له جرح في معركة واتلو Waterloo وكان نابليون في منفاه بجزيرة سنت هيلانه فاعتراض هودسون لو Hudson Lowe حاكم الجزيرة بمحاجة انه وجد منقوشاً عليها حرف «ن» يعلوه تاج والنون اول حرف من اسم نابليون والتاج رمز كونه امبراطوراً

(٤) راجع صحيفه ١٤ من كتاب (محمد على) للأستاذ الايوبي ويقول مؤرخ حياته اهيديه ساكريه:

“Il aime beaucoup les jeux d'échecs et de dames, dans lesquels il est assez fort. Il joue sans prétention avec des officiers de grades peu élevés, quelquefois même avec de simples soldats.” V.- Amedée Sacré.

ما فيها^(١). وفي سنة ١٨١٦ سخطوا على محمد على لما شرع في تنظيم الجيش على المنهج الحديث الأوروبي فتألم الالبانيون وقرروا اغتياله. الا أن عابدين بك الذي شهد مجلس المؤامرة خدعهم وذهب سرًا إلى محمد على وأفتشى أمر المؤامرة فاحتاط محمد على وفشل المؤامرة^(٢)

٥٢ - ونابليون حمل حملة شعواء على الخونة من الموظفين المرتشين وعلى المقاولين الذين يرشون . حدث أن أهدى إليه رجلاً جوادين مطمئنين فتساهما ولما عرض دفع ثمنهما رفض المهدى فأمر نابليون بالقبض عليه وبحبسه ستة شهور وتغريمه نصف مليون فرنك لأنها عدّ المهدى رشوة . ولما حرق وجد ان طائفة من نهازى الفرنس ربحوا أرباحاً طائلة من تورييد المهمات لجيشه فألزمهم بأن يردوا إلى الخزانة ٨٧ مليون فرنك وأن يردوا ما احتزروه من المهمات والمأون والذخائر بثاث قيمتها وأن يضمنوا مقاضمين كل عجز يظهر فيما بعد . رفض أحد أمراء الحرب واسمه (أوفرار) رد مثانية ملايين فرنك قبض عليه وأودع السجن^(٣) . و محمد على مثله . و حكايته مع جرجس الجوهري معروفة إذ أن الجوهري كان متولى الحسبة العام فلما طالبه محمد على بحساب خمس سنوات راوغ فألزمته برد ٥٠٠ كيس (٢٢٥٠٠ جنيه) . وما عمله مع المعلم جرجس الجوهري ، عمل مثله مع متولى الحسبة في الأقاليم ، وألزمهم برد أموال كثيرة .

٥٣ - وابن نابليون بقى فيينا عاصمة النمسا معتقد لا يغادرها من سنة ١٨١٥ إلى

"Méhémet-Ali avait bien prévu que telle serait l'issue de^(١) la tourmente : son palais fut le premier attaqué ; les gardes qu'il y avait laissés répondirent pendant un instant au feu de l'assaillant, quelques hommes furent tués de part et d'autre ; puis les Albanais forcèrent les portes, et mirent tout à sec." (p. 162)

^(٢) راجع تفصيل هذه المؤامرة في الجبرق عن حوادث ٢٥ شعبان سنة ١٢٣١ هـ

"Un certain Thévenin offre en cadeau à Bonaparte de^(٣) beaux chevaux que le général a retenu, mais dont le prévaricateur ne veut pas accepter le prix. Faites-le arrêter et retenir six mois en prison, écrit-il, il peut payer 500.000 francs. V. "Napoléon." par Rosny. P. 69.

: وقال المؤرخ لينوتز

"Il faut lire ces pages émouvantes où l'empereur, comme un dieu armé de la fondre, contraint les profiteurs de guerre à restituer au trésor 87 millions, à livrer tous leurs approvisionnements pour le tiers de leur valeur et à se reconnaître solidairement garants du surplus du déficit. V. "En Suivant l'Empereur." par Lenôtre. P. 40.

أن توفي في ٢٢ يوليه سنة ١٨٣٢ - وابن محمد على (ابراهيم) بقي في استانبول عاصمة تركيا مدة سنة رهينة otage حتى يدفع والده ٤٥٠٠ كيس (٣٠٠٠ جنيه) كان تعهد بدفعها مقابل تثبيته في الولاية على مصر.

٥٤ - و نابليون أنشأ في فرنسا محاكم مختلطة تحكم في المسائل المدنية وفي المسائل الجنائية^(١) . ومحمد على أنشأ في مصر وفي الإسكندرية محاكم مختلطة تفصل في المنازعات التي تقوم بين المصريين والاجانب (وقد عاونه في انشائها وزير ارتين بك والد يعقوب باشا ارتين الذي كان وكيل نظارة المعارف في عهد الخديوي عباس) .

٥٥ - عرضت الدول المتحالفه على أوجين (ابن جوزيفين زوجة نابليون وأحد كبار أنصار نابليون) عرش ايطاليا إذا تخلى عن نابليون وانضم الى الحلفاء فرفض . وعرضت الدول المتحالفه نفسها على سليمان باشا الفرنساوي أحد كبار أنصار محمد على عرش جزيرة قبرص يتوارثه ابناؤه وولاية سوريا مدى الحياة ومكافأة ر٠٠٠١ جنيه ولقب أمير إذا تخلى عن محمد على وانضم الى الحلفاء فرفض .

٥٦ - ونابليون بطش بأعدائه أنصار الملكية فشنق ١٢ وفتى بالكثيرين وبعض على دوق دانجين (من سلالة ملوك فرنسا) وحاكمه وأعدمه في أقل من ٢٤ ساعة. محمد على بطش بما يملك وقتل منهم ٥٤ وفتى بالباقيين (٢) وذلك في أول مارس

“ Pour en finir plus vite, il créa des tribunaux mixtes, (1) mi-civils, mi-militaires, qui reçurent l'ordre d'y aller rondement. Leurs jugements étaient sans appel. Ces tribunaux firent de la bonne besogne. La terreur régna, que Bonaparte voulait éphémère, mais efficace.”
V. “Napoléon” par Rosny. P. 132

(١) يقول بعض المؤرخين — مثل دريو — ان عدد من قتل يبلغ ٨٠٠ . منهم ٢٥ من البكرات - كان يتعمد هم چاهين بك و ٦٠ كاشفأ . وقد هرب العسكر ١٢٠ بيتاً من بيوت المالكين وقدرت قيمة ما سلب بمبلغ ١٠٠٠٠ جنية . الا ان محمد على لاظهار سخطه على من اثار هذا الشعب امر باعدام ٢٠ منهم رميا بالرصاص

ولهذه المذبحة سوابق في التاريخ منها :

— مذبحة العساكر الانكشارية في الاستانة بأمر السلطان محمود.

— ومذبحة الست ليتز Strétilitz بأمر بطرس الأكبر قبض دوسما . والست ليتز حنود عربده

١٢٠٠ مئهم كان كمثل الجنود الاكشارية طفوا وبغوا حتى أصبح لهم كل حول وكل طول

سنة ١٨١١ على أثر حفلة تسليم ابنه طوسون قيادة الجيش المصرى الذى سافر الى بلاد العرب لقمع ثورات الوهابيين .

٥٧ - ونابليون جيشت حكومة المنسا ضده أربعة جيوش جراراً في خلال ستة شهور فهزمه كلها شر هزيمة . و محمد على جيش السلطان محمود ضده أربعة جيوش جراراً هزمها كلها شر هزيمة في مشارف سوريا وبطاح الأنضول ^(١) .

٥٨ - ونابليون دخل روما عاصمة المسيحية غازياً وزوجته جوزيفين دخلياً من بعده في يوليه سنة ١٧٩٦ وعلى رأسها هالة من العظمة والجلال . و محمد على دخل مكنا عاصمة

وكانوا يعارضون في كل اصلاح يريد القىصر ادخاله في نظام الحكم في روسيا فلما ضاق بطرس الاكبر منهم ذرعاً فتك بهم وأفناهم عن آخرهم .

— ومذبحة سان برتلئى Saint-Barthélémy . ومحصلها انه في زمن شارل التاسع ملك فرنسا امر الملك في ٢٤ اغسطس سنة ١٥٧٢ بقتل جميع البروتستانت .

— ومذبحة ليالي صقلية Vêpres siciliennes . ذلك ان الفنساويين ارادوا في سنة ١٢٠٢ احتلال جزيرة صقلية . ولما تكين احتلالهم لهذه الجزيرة استعملوا منتهى القسوة مع الاهالى وفرضوا عليهم ضرائب فادحة وعاملوهم بكل شدة فثار الاهالى على الفنساويين وقتلوا بهم قتلاً وذبحاً ولم ينج منهم الا اثنان فقط .

— ومذبحة فيرونا Pâques vénoraises . في ١٦ ابريل سنة ١٧٩٧ وفي ثالث يوم عيد الفصح ناد اهالى فيرونا على الفنساويين الذين كانوا احتلوا هذه المدينة وذبحوهم عن آخرهم .

— ومذبحة يوم الجمعة الحزينة في البانيا Le Vendredi-Saint albanais . وهو اليوم الذى غدر فيه جيش موسوليني بأهالى البانيا عندما غزاها بدون ان يشهر عليها الحرب وكانت الملكة جيرالدين زوجة الملك احمد زوغو قد وضعت حديثاً .

— ويوم ١٥ اغسطس اليونانى ، ويسمونه le Quinze-Août hellénique وهو اليوم الذى اغرقت فيه غواصة ايطالية السفينة اليونانية «هيللا» بدون ان يكون بين ايطاليا واليونان حرب ففرق جميع ركاب الباحرة وكانت يدّون بالمائتين ،

(١) الجيش الاول كان بقيادة عثمان باشا والى حلب هزم الجيش المصرى في ١٤ يوليه سنة ١٨٣٢ والجيش الثاني بقيادة محمد باشا هزم الجيش المصرى في حمص (٨ يوليه سنة ١٨٣٢).

والجيش الثالث بقيادة حسين باشا هزم الجيش المصرى في بيلان (٣٠ يوليه سنة ١٨٣٢) . والجيش الرابع بقيادة رشيد باشا (٦٠٠٠٠ تركى) هزم الجيش المصرى في قويه (في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٣٢) واسر قائد رشيد باشا (وكان عدد الجيش المصرى ٣٠ الف) . وفي خلال سنة ١٨٣٩ — أى بعد سبع سنوات من الوقائع السابقة — جرد السلطان محمود جيشاً خامساً تحت قيادة حافظ باشا هزم الجيش المصرى في ٢٤ يونيو سنة ١٨٣٩ وهى واقفة نزيب ،

الاسلام غازياً (في ٦ اكتوبر سنة ١٨١٣) ^(١) وزوجته أمينة هانم دخلتها من بعده في رمضان سنة ١٢١٤ وعلى رأسها حالة من العظممة والجلال (وسماها أهالي الحجاز ملكة النيل) ٥٩ - ونابليون نازل أعداءه في ٦ موقعة ^(٢) في فرنسا وفي ايطاليا وفي المساواة في ألمانيا وفي روسيا وفي بروسيا وفي بلجيكا وفي فلسطين وفي مصر . محمد على نازل أعداءه في مثابة في مصر وفي بلاد الحجاز والمدين وفي السودان وفي بلاد اليونان وفي فلسطين وفي سوريا والاناضول .

٦٠ - وإنجلترا هي التي تزعمت دول أوروبا للحمد من أطاع وآمال نابليون . وإنجلترا هي التي تزعمت دول أوروبا للحمد من أطاع وآمال محمد على .

٦١ - وجرى لحمد علي مع الانجليز ماجرى لنابليون من قبل . ذلك انه بعد أن حطم الانجليز الاسطول الفرنسي في أبي قير وبعد أن فشل بونابرت في فتح عكا وبعد أن قطعت المواصلات بين فرنسا ومصر ، وبعد أن تقص عدد جنود الحملة الفرنساوية من ٣٠٠٠٠ إلى ١٥٠٠٠ فكر الجنرال كليبر Kléber - الذي خلف الجنرال بونابرت - في مفاوضة الانجليز والترك للجلاء عن مصر وبالفعل أمضى نائب قائد الحملة الفرنساوية مع الانجليز والترك اتفاق الجلاء في العريش في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ ونفذ معظم شروط الجلاء بالفعل فأخلى كثيراً من المدن وسلم الترك ما سلم . إلا أنه بعد الجلاء الجرئي وبعد تسليم بعض الواقع ورد للجنرال كليبر خطاب من الاميرال الانجليزي كيت Keith فيه يخبره بأنه لا يصادق على اتفاق العريش الذي أمضاه الكومودور سيدني سميث Sidney Smith باسم الحكومة الانجليزية وشرط أن يكون التسليم بلا قيد ولا شرط . حاج الجنرال كليبر على هذا الغدر وصم على القتال وقال كلته المشهورة :

(١) في فرمان رجب سنة ١٢٢٩ (سنة ١٨١٣) لقبه السلطان لأول مرة (بالجاج) محمد على باشا . أما السلطان محمود فلقب نفسه (بالفازى) مع ان الذى غزا الحجاز واستولى على مكة هو محمد على

" La guerre est un singulier art. Je vous assure que (٢) j'ai livré soixante batailles ; eh bien, je n'ai rien appris que je ne susse dès la première." V. Rosebery. P. 239.

"Soldats! On ne répond à de telles insolences que par la victoire : Préparez-vous à combattre."

وفي يوم ٢٠ مارس التقى الجيش الفرنساوي بالجيش التركي الذي كان تحت قيادة يوسف باشا الصدر الأعظم في هليوبوليس^(١) والتحق الفريقيان وانتهت الموقعة بهزيمة الجيش التركي وانتصار الجيش الفرنساوي مع ان عدد جنود الجيش الفرنساوي كان ٨٠٠٠٠ وعدد جنود الجيش التركي كان ٤٠٠٠

أما محمد على فبعد أن قبل الجلاء عن سوريا وقبل رد الاسطول التركي الى الباب العالى مقابل تخوile ملك مصر الوراثي بضمانة الدول وبعد أن تم هذا الاتفاق ووقع عليه الكومودور نابير Napier نائباً عن الجانب الانجليزى ووقع عليه بوغوص بك يوسف وزير الخارجية نائباً عن محمد على وذلك في ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠ وإذا خطاب يرد الى محمد على من الاميرال ستوبفور Stopford قائد القوات الانجليزية يرفض الاعتراف بهذا الاتفاق بحججه ان الكومودور نابير جاوز اختصاصه ولا يملك عقده وأيده فى هذا الرد السلطان الذى أصر على تنفيذ فرمان عزل محمد على كما أيدوه لورد بونسومبى Ponsomby سفير انجلترا فى الاستانة الذى أعلن بطلانه .

٦٣ - ونابليون وهو فرنساوي ثار على ملك فرنسا وغصب ملکه . و محمد على وهو تركي ثار على سلطان تركيا وغصب ملکه .

٦٣ - ونابليون حاصر عكا ٦٢ يوماً في خلال سنة ١٧٩٩ وفشل^(٢) . وابراهيم باشا ابن محمد على حاصر عكا ستة شهور في خلال سنة ١٨٣٢ ونجح . (سقطت عكا في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢)

(١) تذكرى واقعة عين شمس هذه — واقعة ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠ — بواقة أخرى وقعت في عين شمس نفسها في شهر يوليه سنة ٦٤٠ ميلادية — أي قبل الواقعة الأولى بألف ومائة وستين سنة يفصلها كثير من المؤرخين . ذلك أن عمرو بن العاص لما غزا مصر ووصل إلى عين شمس قاتل الروم . وكان جيش عمرو يبلغ ١٥٠٠٠ مقاتل وجيش الروم ٣٠٠٠٠ وقد انتصر عمرو على تبودور قائداً الروم انتصاراً مبيناً سهلاً له فتح مصر كلهما .

(٢) هذه اسمها الورخون الأفرينج La Pucelle — البكر أو العذراء — وقلعة عكا قلعة حصينة استولى عليها بطليموس ملك مصر وسمى بها Ptolémais

٦٤ - ولما حاصر نابليون بونابرت عكا في سنة ١٧٩٩ نصب خيمته على بعد بضعة كيلومترات من قلعة عكا . ولما حاصر جيش محمد على عكا في سنة ١٨٣١ نصب ابنه إبراهيم باشا خيمته في نفس الموقع الذي كانت منصوبة فيه خيمة نابليون بونابرت من قبل باثنتين وثلاثين سنة . وقد زرت موقع الخيمتين فهاجت في ذكرى هاتين الحاديتين التارخيتين .

٦٥ - وجيوش نابليون هزمت الترك عند جبل تابور عندما كان يحاصر عكا ، وجيوش محمد على هزمت الترك عند جبل تابور عندما كان يحاصر عكا ^(١)

٦٦ - فكر نابليون إذا ما قيض له الاستيلاء على قلعة عكا أن يزحف على سوريا ولبنان والأناضول ومنها يواصل زحفه ^(٢) إلى أن يصل إلى القسطنطينية فيخلع السلطان وينشئ امبراطورية يتولاها هو . وفكراً محمد على بعد ما غزا جيشه فلسطين وسوريا ولبنان والأناضول ووصل إلى كوتاهية أن يواصل الزحف إلى عاصمة السلطة فيخلع السلطان محمود ويجلس هو على عرش آل عثمان

٦٧ - ومن المصادفات انه كان بين الاشخاص الذين وقعوا أسرى مع عبد الله باشا وإلى عكا في ايدي الجيش المصري خورشيد بك . وخورشيد بك هو نفسه الذي اشتراك مع احمد باشا الجزار في الدفاع عن عكا عندما حاصرها نابليون ثم اشتراك مع عبد الله باشا وإلى عكا عندما حاصرها إبراهيم باشا . وفق في الحصار الأول وفشل في الحصار الثاني .

٦٨ - أسس نابليون أول بنك في فرنسا في ١٨ يناير سنة ١٨٠٠ (بدأ رأسه له

(٢) هو جبل « التجلي » ويبعد ستة أميال عن الناصرة Nazareth وعشرة من بحيرة طبرية ويشرف على مرج ابن عمير .

(٣) كتب في ٩ مايو سنة ١٧٩٩ يقول انه اذا فتح عكا زحف على دمشق وحلب وجيش من اهاليها جيشاً يزحف به إلى القسطنطينية وهذا ما كتبه :

“Année 1799. Mai 9. - J'arrive à Constantinople avec des masses armées ; je renverse l'empire turc ; je fonde dans l'Orient un nouvel et grand empire.” V. “Vie de Napoléon.” P. 77.

مبلغ ٣٠ مليوناً من الفرنكـات) . وأسس محمد على باشا أول بنك في مصر (ونصب مديرـا له مسيـو توسيـزا) ^(١) .

٦٩ - ونابـليون لم يعـد قـرضاً مع كـثرة حـربـه ^(٢) - محمد على لم يعـد قـرضاً مع كـثرة حـربـه ^(٣) .

٧٠ - ونابـليون أـصدرـ في ٢٩ مـارـس سـنة ١٨١٥ أـمـراً إـلـى المـارـشـال دـافـو Davout بـأـبطـالـ رـقـ العـبـيدـ . وـمحمدـ عـلـى باـشاـ لـما زـارـ السـوـدانـ فـي خـلـالـ سـنة ١٨٣٨ وـوـصـلـ إـلـى الحـرـطـومـ أـصـدرـ أـمـراً إـلـى خـورـشـيدـ باـشاـ حـاكـمـ السـوـدانـ بـأـبطـالـ رـقـ العـبـيدـ .

٧١ - ونابـليـونـ أـدـخـلـ زـرـاعـةـ القـطـنـ فـي فـرـنـساـ (ـ فـي جـنـوبـ فـرـنـساـ وـفـي جـزـيرـةـ كـوـرسـيـكاـ وـفـي إـيـطـالـياـ) . وـوـسـعـ زـرـاعـةـ القـطـنـ لـلـدـرـجـةـ سـدـّـتـ حاجـةـ الـبـلـادـ الـوـاقـعـةـ بـيـنـ مقـاطـعـةـ نـورـمانـديـ بـشـمـالـ فـرـنـساـ وـبـلـادـ الـإـلـزاـسـ فـي شـرـقـ فـرـنـساـ . وـمـحمدـ عـلـىـ أـدـخـلـ زـرـاعـةـ القـطـنـ فـي مـصـرـ وـلـتوـسـيـعـ زـرـاعـةـهـ اـسـتـحـضـرـ بـذـورـاًـ مـنـ سـيـلانـ وـكـانـ اـهـتـامـ مـحـمـدـ عـلـىـ بـنـزـرـاعـةـ القـطـنـ عـلـىـ آـثـرـ اـكـتـشـافـ أـحـدـ فـرـنـساـوـيـينـ Jumelـ لـأـوـلـ شـجـرـةـ فـي جـنـينـةـ حـوـبـكـ .

٧٢ - ونابـليـونـ لـما اـحـتـلـ جـزـيرـةـ مـالـطـةـ . وـهـوـ قـادـمـ إـلـىـ مـصـرـ لـغـزوـهـاـ فـي خـلـالـ سـنةـ ١٧٩٨ـ . أـعـتـقـ ٢٠٠٠ـ رـمـلـ مـسـلـمـيـنـ الـذـيـنـ وـقـعواـ أـسـرـىـ فـيـ أـيـدـىـ الـقـرـصـارـ وـاستـرـقـهـمـ فـرـسانـ الـجـزـيرـةـ وـاسـتـعـبـدـوـهـمـ كـانـ مـنـهـمـ رـجـالـ وـنـسـاءـ وـأـطـفـالـ مـنـ أـهـالـيـ طـرابـلسـ وـالـجـزـائـرـ وـتـونـسـ وـمـرـاـكـشـ وـمـنـهـمـ مـنـ دـمـشـقـ وـمـنـ أـزـمـيرـ وـمـنـ اـسـتـانـبـولـ ، وـلـمـ يـكـتـفـ بـأـنـ أـعـتـقـهـمـ ، بـلـ أـتـحـفـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـمـ مـبـلـغـ مـنـ الـمـالـ لـيـسـاعـدـهـ عـلـىـ الـعـودـةـ إـلـىـ بـلـادـهـ .

(١) جاء في كتاب الاستاذ كريم بك ثابت عن « محمد على » صحيفـة ٢٩١ حدـيثـ جـرـىـ بينـ البرـنسـ بوـكـرـ مـوسـكـوـ وـمـحمدـ عـلـىـ هـاـكـ نـصـهـ (ـ وـفـي ذاتـ يـوـمـ التـفـتـ إـلـيـهـ وـقـالـ لـهـ «ـ هلـ تـعـلـمـ مـاـذاـ اـمـضـيـتـ الآـنـ»ـ فـأـجـابـهـ بوـكـرـ «ـ لـاـ يـاـ صـاحـبـ السـمـوـ»ـ فـقـالـ مـحـمـدـ عـلـىـ «ـ اـمـضـيـتـ أـمـراًـ بـاـشـاءـ بـنـكـ فـيـ الـقـاهـرـةـ يـسـلـفـ بـفـائـدـةـ قـدـرـهـاـ ١٢٠٠٠ـ /ـ ٠٠١٢ـ»ـ .

(٢) « Pas de dettes, pas d'emprunts; telle avait été jusqu'alors sa ligne de conduite qu'il était fermement résolu à suivre. » V. "En suivant l'Empereur." par G. Lenôtre P. 33 et Rosebery p. 286.

(٣) اـولـ قـرـضـ دـولـيـ عـقـدـتـهـ مـصـرـ كـانـ فـي خـلـالـ سـنةـ ١٨٦٢ـ فـيـ عـهـدـ سـعـيدـ باـشاـ وـكانـ مـبـلـغـ ٨٣ـ مـلـيـونـ فـرـنـكـ عـبـارـةـ عـنـ ٣٢٩٠٠ـ رـمـلـ جـنـيـهـ بـفـائـدـةـ ٧ـ /ـ ٠٠٣ـ .

بعد أن كساهم وأمدّهم بالميزة . محمد على باشا لما زار السودان في خلال سنة ١٨٣٨ أعمق آلاقاً من الرجال والنساء والأطفال الذين استرقهم النخاسون وباعوهم في الأسواق بيع السماح .

٧٣ - ونابليون وجد فرنسا في حالة فوضى لم تعرف فرنسا مثلها من قبل ^(١) . فوضى في الادارة وفي المالية وفي القضاء وفي الجنديّة وفي السياسة الخارجية ومشاكل مع الانجليز والإيطاليين والمنسوبيين والهولانديين . محمد على وجد مصر في حالة فوضى لم تعرف مثلها من قبل . ^(٢) فوضى في الادارة وفي المالية وفي القضاء وفي

"On sait dans quel état de dégradation, le Directoire ^(١) avait laissé la France; les ports étant ensablés, les chemins rompus, les canaux sans entretien, l'industrie et le commerce sombrent: ateliers désertés, boutiques fermées et, les sillons abandonnés, la terre retournant en jachères. Les hôpitaux sont dans la misère, il n'y a pas d'écoles" V. "La France de l'Empire" par Madelin. P. 82.

إلى ان قال :

"Tout, depuis dix ans, y est révoltes, dissensions, déchirements ; tout, depuis cinq ans surtout, y est dissolution et anarchie ; tout y est désordre."

"Désordre dans l'Etat, désordre dans le gouvernement, désordre dans les administrations, désordre dans la fortune publique, désordre dans les administrations, désordre à Paris, désordre dans les provinces, désordre dans tous les bourgs, désordre dans les routes, désordre dans l'armée, désordre dans l'Eglise, désordre dans la société, désordre dans la famille, désordre dans le monde politique." - P. 6 et 7 - du même auteur.

قال دريو المؤرخ الشهير في كتابه « مختصر تاريخ مصر » صحيحة ١٨٧ : (٢)

"L'Egypte avait en vérité disparu de l'histoire, rejetée dans un coin de la Méditerranée, livrée à l'anarchie et à la misère, et ainsi presque rendue au désert, au néant. L'Egypte n'était plus au sultan, elle était aux beys. Il serait sans doute impossible de concevoir un régime plus ruineux que celui des beys de l'Egypte à la fin du XVIII^e siècle. Voir "Précis de l'Histoire d'Egypte" par Edouard Driault P. 187.

إلى ان قال :

"Les travaux nécessaires à sa fortune agricole, à son alimentation même, tous interrompus; les canaux d'irrigation obstrués; les inondations du Nil mal distribuées, excessives ou insuffisantes; le sable descendu jusque dans le fleuve; un quart ou un tiers du Delta reconquis par le désert; 5000 habitants à Alexandrie qui en avait compté plusieurs centaines de milliers; - les caravanes partout arrêtées, pillées, donc détournées vers d'autres routes. La plus riche terre du monde devenue la plus stérile." (Voir P. 191 et 192)

الجندية وفي السياسة الخارجية ومشاكل وقتن مع الماليك والإنجليز والترك والارناؤود
والكراد والشراكسة والبدو^(١).

٧٤ - نابليون كان رجل بناء وإصلاح وعمارة ، عم الاصلاح والتعمير والبناء
امبراطوريته الواسعة . واعظم عمل كان يقتصر به نابليون وضعه « القانون المدني »^(٢)
ومحمد على مثله بني وأصلاح عمر وعم الاصلاح والتعمير والبناء ديار مصر من أقصاها
جنوباً إلى أقصاها شمالاً .

في اليوميات التي أملأها نابليون وهو في منفاه في جزيرة سنت هيلانة عدّد
الاعمال العظيمة التي نفذها في مدة حكمه في فرنسا وفي بلجيكا وفي هولاندا وفي
إيطاليا وفي ألمانيا . وذكر المبالغ الهائلة التي أفقها في تحسين باريس وروما
وليون وأنفروس ودنكرك والهافور ونيس والبندقية وبوردو وبايون وعدّد الطرق التي
أنشأها والكنائس التي شيدتها والأهرار التي شقها والقوارين التي سنبها والمتحاف
والمدارس والمعاهد العلمية^(٣) والأرصدة والمحاري والتماثيل وبنك فرنسا الذي أسسه
والمصانع والصناعات التي خلقتها . قال انه أنفق ٥٠ مليون فرنك (٠٠٠٠٠٢٠) مليون
جيبي ذهبياً) لترميم وتحسين قصور الناج الامبراطوري . و ٦٠ مليوناً لتأثيث قصور فرنسا

(١) وهذه الفوضى هي التي اوحىت الى نابليون كلته المشهورة :

“ L'Orient n'attend qu'un homme ” فكان محمد على هو الذي قيده الله لمصر

(٢) كتب في ٣ مارس سنة ١٨١٧ :

“ J'ai livré cinquante batailles rangées que j'ai presque toutes gagnées .
J'ai créé un code de lois qui portera mon nom aux siècles les plus
reculés . Je me suis élevé de rien à être le plus grand monarque de monde .
L'Europe était à mes pieds . ”

وفي ٢٧ نوفمبر سنة ١٨١٥ كتب وهو في منفاه :

“ Mon seul Code, par sa simplicité, a fait plus de bien en France
que la masse de toutes les lois qui l'ont précédé . ”

ثم كتب في ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٠٨ يقول :

“ Année 1808. Oct. 22. - Les codes civil, judiciaire et de commerce
ont réussi. Le code criminel va être soumis dans cette session au Corps
législatif. Le code civil est le code du siècle ; la tolérance y est non
seulement prêchée, mais organisée, la tolérance, ce premier bien de
l'homme . ” - P. 234.

(٣) اليس المجتمع العلمي المصرى الذى اسسه عندما كان فى مصر ولا يزال قائماً حتى الان
من حسناته الحالية . اليس هو الذى فكر فى حفر قanal السويس وفى اقامة القناطر الخيرية (فى
طن البقرة) :

Année 1816. Sept. 29. — " Vous voulez connaitre les () trésors de Napoléon ? Ils sont immenses, il est vrai; mais ils sont exposés au grand jour. Les voici : le beau bassin d'Anvers, celui de Flessingue, capables de contenir les plus nombreuses escadres et de les préserver des glaces de la mer; les ouvrages hydrauliques de Dunkerque, du Havre, de Nice; le gigantesque bassin de Cherbourg; les ouvrages maritimes de Venise; les belles routes d'Anvers à Amsterdam, de Mayence à Metz, de Bordeaux à Bayonne; les passages du Simplon, du Mont-Cenis, du Mont-Genève, de la Corniche, qui ouvrent les Alpes dans quatre directions; dans cela seul vous trouveriez plus de huit cent millions.

“Les routes des Pyrénées aux Alpes, de Parme à la Spezzia, de Savoie au Piémont; les ponts d'Iéna, d'Austerlitz, des Arts, de Tours, de Lyon, de Turin, de l'Isère, de la Durance, de Bordeaux, de Rouen; le canal qui joint le Rhin au Rhône, unissant les mers de Hollande avec la Méditerranée; celui qui unit l'Escaut à la Somme, joignant Amsterdam à Paris; celui qui joint la Rance à la Vilaine; le canal d'Arles, celui de Pavie, celui du Rhin; le desséchement des marais de Bourgoing, du Cotentin, de Rochefort; le rétablissement de la plupart des églises démolies pendant la Révolution, l'élévation de nouvelles; la construction d'un grand nombre d'établissements d'industrie pour l'extirpation de la mendicité; la construction du Louvre, des greniers publics, de la Banque, du canal de l'Ourecq; la distribution des eaux dans la ville de Paris, les nombreux égouts, les quais, les embellissements et les monuments de cette grande capitale; les travaux pour l'embellissement de Rome; le rétablissement des manufactures de Lyon. Cinquante millions employés à réparer et à embellir les palais de la couronne; soixante millions d'ameublements placés dans les palais de la couronne en France, en Hollande, à Turin, à Rome; soixante millions de diamants de la couronne, tous achetés avec l'argent de Napoléon; le Régent même, le seul qui restât des anciens diamants de la couronne de France, ayant été retiré des mains

وهو الذى شيد في باريس قوس النصر الشهير l'Arc de Triomphe رمزاً لجد فرنسا . كما اقام عمود فاندوم La Colonne Vendôme ولصنعه صب ١٢٠٠ مدفع غنمها فى اثناء الحروب التي اشتراك فيها فى خلال سنة ١٨٥٠ . وهو الذى شيد كنيسة المادلين الشهيرة التي تعد من اجمل كنائس باريس ، وهو الذى أسس وشيد مبني La France de l'Empire في كتابه « البورصة » ^(١) . وما ابلغ ما قاله المؤرخ مادلين Madelin في كتابه في صحيفه ١٥٧ :

“ Il a laissé en réalité des enfants innombrables et qui, plus que ne l'eut fait sa dynastie sans doute, lui ont survécu. Ces enfants, ils s'appellent le Code civil, la Banque de France, l'Université, le Concordat, la Légion d'honneur, le Conseil d'Etat, les Cours et Tribunaux; les Préfectures, toute cette administration qui a servi, pendant cent vingt-cinq ans, d'armature à la France. Oui, voilà les enfants qui assurent, parmi nous, son règne et qui, dans les périodes les plus troubles et les plus menaçantes, pendant les révolutions et les guerres, en dépit de gouvernements médiocres et parfois tout à fait néfastes, ont maintenu en pleins bouleversements politiques, sociaux, économiques et financiers, un peu du grand ordre napoléonien.

“ Ses enfants enfin, ce sont ses victoires,” Voir “ La France de l'Empire. par Louis Madelin. P. 157.

وأعمال محمد على لا يحصيها عد . بني وأنشأ وأسس مساجد ومدارس وقصوراً وثكنات ومصانع ومطابع وقنطر ومنائر وخطوطاً تغريفية وطواحين هولائية وحفر ترعاً وأقام جسوراً وسدوداً كثيرة . كما بني وأسس مدنًا نذكر طائفة منها :
- أنشأ أربع ثكنات عسكرية في أسوان .

- أنشأ أربع ترسانات « دار صناعة » في اسكندرية وفي بولاق وفي السويس وفي الخرطوم (وما حوتة من الورش والمباني مع حوض لترميم السفن) .

des juifs de Berlin auxquels il avait été engagé pour trois millions ; le Musée Napoléon estimé à plus de quatre cents millions.

“ Voilà les monuments qui confondront la calomnie.

“ L'histoire dira que tout cela fut accompli au milieu de guerres continues, sans aucun emprunt, et même lorsque la dette publique diminuait tous les jours.” V. “ La Vie de Napoléon.” par lui-même. P. 383 et 384

“ On lui doit la Madeleine, la Bourse, L'Arc de Triomphe, (١) et des voies magnifiques. V. “Napoléon” par Rosny. P. 130 et 131

- أنشأ ثالث مصانع للأسلحة الحقيقة بالقلعة وبالقرب من القلعة وخارج القلعة. عاونه في تأسيسها فرنساوى اسمه جيومين *Guillemain* مراقب بـ مصانع فرساي *Versailles*
- أنشأ مصانع للبارود في مصر وفي أسيوط.
- حث على غرس ملايين من شجر التوت وجلب عائلات من لبنان لتعليم المصريين تربية دواة الفرز.
- أنشأ مصانع للطراييش في فوّة.
- أنشأ مصانع للغزل والنسيج في الخرفة ، وفابریقات للكتان والجوخ في بولاق . والصوف والحرير ، ومعملات سبك الحديد ، ومصنع ألواح النحاس . ومصنعاً للصابون ودبغ الجلد برشيد . ومصنعاً لخليج القطن على ضفة محمودية عاونه فيها الميسو اندريل الفرنسي *Andriel*
- شيد حصنًا على قمة جبل المقطم وهو حصن ملحق بقلعة الجبل .
- بني مسجد محمد على بالقلعة .
- بني مسجد النبي دانيال بالسكندرية ومدفناً بجواره (مدفن العائلة المالكة)
- بني سبيل العقادين بالقاهرة على روح ابنه طوسون باشا . وقد أنشأه في سنة ١٢٣٦ من الهجرة (١٨٢١ ميلادية) .
- بني قصر محمد على بالقلعة (قصر الجوهرة) .
- بني قصر محمد على بشبرا الخيمة (الباقي منه الآن البناء المعروف بالفسقية) .
- بني قصر رأس التين بغير الاسكندرية .
- وبني سراى قصر النيل .
- أسس المدرسة المصرية بباريس .
- أسس مدرسة الطب البشرى ^(١) (المستشفى العسكري ومدرسة ولادة أبي زعل عن يد كلوت بك .

(١) علم الجراحة كان عدماً في ذلك العهد وها ما قاله المؤرخ مورين :

" Ibrahim-Pacha, qui se trouvait alors en Syrie avec l'armée, renvoya les élèves chirurgiens qu'on lui avait mandés, pour la raison, écrivait-il, qu'ils estropiaient tous les blessés confiés à leurs soins."

- فتح مدرسة للولادة .
- أدخل نظام التطعيم ضد الجدري .
- أسس مدرسة الطب البيطري برشيد ثم بشبرا عن يد مسيو هامون .
- أنشأ مدرسة للمشاة في أسوان ومدرسة أخرى مثلها في فرشوط ومدرسة ثلاثة في دمياط عاونه في تأسيسها الكولونيال سيف (سليمان باشا الفرنساوى) يعاونه ثنان من الضباط الفرنساوى بين هما الكولونيال ماري Mary والضابط كادو Cadeau .
- أنشأ مدرسة للاخالة بالجيزة في سنة ١٨٣٠ عاونه في إنشائها المسيو Varin .
- أنشأ مدرسة المدفعية في طره عاونه في تنظيمها وفي تأسيسها أحد ضباط حرس نابليون المسيو جوتار Gouthard du Veneur والميرالاي Roy أرسله إلى مصر ملك فرنسا شارل العاشر في خلال سنة ١٨٢٥ .
- أنشأ مدرسة أركان حرب بالخانكة في سنة ١٨٢٤ نظمها المسيو بلانا Planat .
- أسس مدرسة الزراعة بنبروه ثم بشبرا .
- أسس في خلال سنة ١٨٢٥ المدرسة البحرية باسكيندرية .
- أسس مدرسة موسيقى بالخانكة .
- أسس مدرسة الهندسة ببولاق (١) .
- أسس مدينة الخرطوم ومدينة كسلا .
- أسس بلدة جهاد آباد (بين الخانكة وأبي زعل) .
- أسس منار الاسكندرية (الذي أشرف على إنشائه مظفر باشا) .
- أسس منارات (تشبه منارات البحرية) على قمم الجبال من فقط الى القصیر لترشد القواقل وركب الحجيج ليصلوا الى شاطئ البحر بسلام .
- أنشأ خطأ تلغافياً ليوصل القاهرة بشعر الاسكندرية . كما مد خطأ تلغافياً بين الاسكندرية ورودس .

(١) في اول عهد محمد علي بالحكم ما كان في البلاد كلها مدرسة واحدة لا للطب ولا للهندسة ولا للزراعة ولا للطبيعة ولا للكيمياء ولا للتاريخ ولا لالجغرافيا ولا لارياضة ولا لترجمة .

- أسس القنطر الخيرية .
- أسس مطبعة بولاق .
- استدعى صناعاً من أورو با لتعليم المصريين صنع الأقمشة من الجوخ والحرير والقطن وجلب آلات كثيرة لتسهيل صنعها^(١) .
- استدعى ضباطاً من فرنسا ومن إيطاليا ومن المنسا لتتنظيم أول نواة لجيشه النظامي .
- حفر ترعة محمودية وشق ترعا غيرها مثل ترعة الخطاطبة والنعناعية والسرساوية والباجوريه والبوهية والمنصورية والشرقاوية وأقام الجسور والقنطر والسدود المنتشرة في أنحاء القطر (ومن أراد المزيد فليراجع الجزء التاسع عشر من كتاب «الخطط الجديدة» على باشا مبارك) وكتباً غيره مثل كتاب الاستاذ الجليل عبد الرحمن بك الرافعي «محمد علي» .
- والفضل أكابر الفضل محمد على باشا في إنشاء الجيش المصري (وفي وقت ما بلغ عدد جنوده ٢٠٠٠٠ رجل) والأسطول المصري (وفي وقت ما بلغ عدد البحارة ٢٠٠٠ رجل) وكان محمد على وابنه إبراهيم يتعهدان اعمال الترسانة بهمة لا تعرف الملل^(٢)

(١)

“Le vice-roi a fondé un très grand nombre de fabriques; des filatures de coton, des fabriques de toiles, de lin, d'indiennes, de draps, de tissus, de laine, de bonnets et d'étoffes de soie, des fonderies de fer, des manufactures d'armes, etc.” V. Clot Bey P. 222

“Il faut avouer aussi que le Pacha, s'il ne put, à l'exemple (٢) du czar Pierre le Grand, mettre habit bas et donner le premier à son peuple l'exemple du travail, ne ménagea cependant pas le stimulant de sa présence, de ses encouragements et de sa sévérité. Son plus grand plaisir était de passer de longues heures sur les chantiers.

“Son fils Ibrahim-Pacha passait les journées entières à l'arseual, et s'y faisait même porter ses repas, qu'il partageait avec l'ingénieur français le forçant à s'asseoir à côté de lui.” V. Clot Bey P. 126

وشهدت عناته التعليم (فأرسل ارساليات الى فرنسا وإيطاليا)^(١) . كما شهدت عناته الزراعة . والتجارة . والصناعة . والأمن^(٢) . وهو الذى أدخل زراعة القطن فى مصر واستحضر بذوره من سيلان^(٣) . وقد عاونه فى زراعة القطن مسيو جوميل Jumel . والحرير وقد استحضر له شجر التوت ومعلمين من سوريا ولبنان لتربيه دودة القز . والآفيون وقد استحضر محمد على من آسيا الصغرى بعض الأرمن الخبرين بزراعة الآفيون وبطرق استعماله للاستفادة من خبرتهم لتوسيع زراعته وتحسينها

"Jadis l'opium de la Thébaïde était si renommé, qu'on le désigne encore aujourd'hui, dans nos officines sous le nom d'extrait thébaque. Le vice-roi, pour donner une nouvelle activité à cette branche d'agriculture, depuis longtemps tombée en désuétude, fit venir de l'Asie-Mineure des Arméniens consommés dans la pratique.

"En 1833, la récolte de l'opium s'éleva à 14,500 okes, que le Pacha vendit 110 piastres l'oke." V. Clot Bey P. 46

ولم يكتفى بكل هذا بل ضم الى مصر واحة سيوة (احتلها بأمره حسن باشا الشماشرجي) . كما أنشأ بعض الوزارات للداخلية وللمالية وللخارجية وللتجارة ولم يكن موجوداً منها شيء من قبل (راجع صحيفة ٤ من كتاب كلوب بك) .

(١) اول بعثة هامة ارسلت الى فرنسا في سنة ١٨٢٦ وكانت عددها ٤٠ طالباً بعضهم ارسل لدراسة الادارة المدنية . وبعضهم لدراسة الادارة الحربية . ومنهم لدراسة العلوم السياسية . و منهم لقوة المياه والعلوم الميكانيكية والهندسة والمدفعية وصب المعادن وصنع الاسلحه والكيمايه والاطب والتأريخ الطبيعي والمعادن — راجع صحيفة ٧٤ من الجزء الخامس من كتاب « فيض الخاطر » للاستاذ الكبير احمد بك امين

(٢) اسمع ما قاله عن « الامن » في عهد محمد على الساعي المؤرخ تدنا دوفان :

"Ce que disait Tacite du bonheur qu'on avait de vivre à Rome sous Trajan, peut se dire aujourd'hui de Méhémet-Ali, à la sage fermeté duquel est due la tranquillité dont jouissent les villes du Caire et d'Alexandrie : "Sous ce prince, vous pouvez, par une félicité qui se reproduit rarement, penser ce qu'il vous plaît et dire librement ce que vous pensez." V. "l'Egypte sous Méhémet Ali". par Thedenat Duvent.

(٣) في موسم سنة ١٨١٧ جنى محمد على ٤٠ الف قططار . وفي موسم سنة ١٨١٨ جنى ٧٠٠٠ ر. و مصر الآن تجني أكثر من عشرة اضعاف هذا المقدار واصبح القطن عماد ثروة مصر

وَكُثْرَةُ حِروْبِ مُحَمَّدٍ عَلَى وَكُثْرَةِ مُشَاغِلِهِ لَمْ تَمْنَعْهُ مِنْ تَوجِيهِ عَنْيَاتِهِ إِلَى الْأَمْوَارِ التَّشْرِيعِيَّةِ وَالْقَضَائِيَّةِ .

- فِي سَنَةِ مِبَايِعَتِهِ وَالْيَّاً عَلَى مِصْرَ (سَنَةُ ١٨٠٥) أَنْشَأَ « دِيَوَانَ الْوَالِي » اخْتِصَاصَ بِالْفَصْلِ فِي الْمَنَازِعَاتِ الَّتِي تَقْوَمُ بَيْنَ الْأَهَالِي وَالْأَجَانِبِ وَعيْنَ فِيهِ عَالَمًا مِنْ كُلِّ مَذَهَبٍ مِنَ الْمَذاهِبِ الْأَرْبَعَةِ لِيَنْظُرَ فِي مَسَائلِ الْمَوَارِيثِ وَالْأَوْصِيَاءِ وَالْجَنَابِيَّاتِ الْكَبِيرَةِ .

- وَفِي سَنَةِ ١٢٤١ هـ أَصْدَرَ قَانُونَ تَرتِيبَ « بَلْجِيَّةِ الْحَكَامِ الْمَلَكِيَّةِ » .

- وَفِي سَنَةِ ١٢٤٥ هـ أَصْدَرَ « قَانُونَ الْفَلاَحِ » .

- وَفِي سَنَةِ ١٢٥٠ هـ أَصْدَرَ « قَانُونَ السِّيَاسَةِ نَامَةً » .

- وَفِي سَنَةِ ١٢٥٨ هـ شَكَلَ « بَلْجِيَّةِ الْحَقَانِيَّةِ » خَوْلَهَا حَقُّ التَّشْرِيعِ .

- وَفِي سَنَةِ ١٢٦١ هـ شَكَلَ « بَلْجِيَّةِ تِجَارِ اسْكَنْدَرِيَّةِ » لِيَفْصِلَ فِي الْقَضَائِيَّاتِ التَّجَارِيَّاتِ بَيْنَ الْأَهَالِيِّ وَالْأَجَانِبِ .

- وَفِي سَنَةِ ١٢٦٢ هـ شَكَلَ « بَلْجِيَّةِ تِجَارِ مِصْرِ » .

- وَفِي سَنَةِ ١٢٦٣ هـ شَكَلَ « الْجَلْسُ الْمُخْصُوصُ » .

- وَفِي سَنَةِ ١٢٦٨ هـ شَكَلَ خَمْسَةَ بَلْجِيَّاتِ لِلْأَقَالِيمِ .

- وَفِي سَنَةِ ١٢٧٣ هـ أَلْفَ بَلْجِيَّةِ استَئْنَافَ لِلْقَضَائِيَّاتِ التَّجَارِيَّاتِ .

وَمَا كَانَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا مُوْجُودًا . قَالَ أَحَدُ الْمُؤْرِخِينَ وَمَا أَصْدَقُ مَا قَالَ (انْ نَابِلِيُّونَ كَانُ يَفْتَخِرُ دَائِمًا بِأَنَّهُ يَسِيرُ عَصْرَهُ . إِلَّا أَنْ مُحَمَّدًا عَلَى جَاؤَزِ عَصْرِهِ بِرَاحَلٍ) .

“ Napoléon se vantait toujours qu'il marchait avec son siècle, Mohamed Ali est allé loin, bien loin au delà de son siècle.”

وَلَمْ تَقْتَصِرْ عَنْيَاتِهِ عَلَى الْأَمْوَارِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالتَّشْرِيعِيَّةِ وَالْقَضَائِيَّةِ وَالصَّنَاعِيَّةِ وَالْبَرَاعِيَّةِ وَالتَّجَارِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ بَلْ وَجَهَ عَنْيَاتِهِ أَيْضًا إِلَى الشَّئُونِ الْدِينِيَّةِ وَالْإِدَارَيَّةِ مِنْهَا أَنَّهُ أُرْجِبَ عَلَى جَنُودِهِ بِأَنْ يَؤْدُوا الصَّلَاوَاتِ الْخَمْسَ فِي أَوْقَاتِهَا . كَتَبَ إِلَى قَوَادِ جَيْوشِهِ يَقُولُ لَهُمْ « مَرِوَا جَنُودَكُمْ بِآدَاءِ الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا . لَا تَدْعُوهُمْ يَتَرَكُونَهَا فِي سَلْمٍ أَوْ حَرْبٍ . فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي يَهْبِطُ النَّصْرَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ جَعْلُ الْعَاقِبَةِ لِلْمُتَقْبِينَ وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ . إِنَّ اللَّهَ

قوى عزيز» . كما حرم على النساء السير في الجنائز واصفًا إياهن بأنهن « نساء قليلات أدب » . كما عاقب كل من سب آخر قائلا له « أنت فلاح » لأنه كان يردد أن يرفع الفلاح إلى مستوى أرقى مما كان فيه . كما حافظ على كرامة المصريين فإذا ما اعتدى عليهم أجنبى مهما سمت وظيفته ولو كان قنصلا . كما ساوي في المعاملة بين المسلم وغير المسلم .

٧٥- بني نابليون قلعة بجوار قلعة صلاح الدين عرفت باسم قلعة نابليون . وبنى محمد على بجوارها حصنًا عرف باسم حصن محمد على .

٧٦- ونابليون تنازل عن عرش فرنسا وهو على قيد الحياة لابنه (نابليون الثاني)
وابراهيم بن محمد على استوى على عرش مصر في حياة أبيه ^(١) .

٧٧- كان نابليون يكره المحامين ^(٢) و محمد على مثله كان يكره المحامين . لما عرض علي نابليون مشروع إقرار مجلس تقابة المحامين رفضه وقال عن المحامين إنهم جماعة ثثارة يثيرون الفتنة والثورة . ثم قال « طالما كان السيف في يدي فلن لا أوقع على مرسوم أحق وأخرق مثل هذا ، بحذله لو أمكن قطع لسان كل محام يستخدم لسانه ضد الحكومة » . و محمد على مثله عرضت عليه قائمة بأسماء « الوكلاء » الذين كانوا يتراوغون أمام المحكمة الشرعية الكبرى وكانوا يسمونهم (المزورين) فأمر بتحقيق الشكوى و « بتأديب المزورين » قائلا : (كونوا منتسبيين في قطع دابرهم وانظروا في قطع دابرهم وانظروا في طريقة لقطعهم واقتطعواهم) .
ولما انتهى التحقيق وعرضت نتيجته على محمد على باشا أمر بتفويض البعض إلى بلاد السودان والبعض الآخر إلى بلاد الغرب ^(٣)

(١) ولالية ابن الحكم في حياة الاب لها سوابق في تاريخ مصر . من ذلك ان بطليموس سوتير مؤسس دولة البطالسة تنازل عن عرش مصر لابنه وبقي هو معتزلا الحكم الى ان مات
(٢) ومن امثال نابليون كان ابن محام فاته قال :

“Je veux qu'on puisse couper la langue à un avocat qui s'en servirait contre le gouvernement.”

(٣) راجع كتاب (المحاما قديماً وحديثاً) بقلمنا وقام الاستاذ جيل خانى صحيفي ٢٥٦٢

٧٨ - اشتهر نابليون بالدهاء والمسكر والخداع . كان يلبس لكل حالة لبوسها .
تارة يميل الى فريق وتارة يميل الى خصميه ان أراد أن يستعين بقوته أو أراد أن
يدرأ عن نفسه غدره حتى اذا ما حقق غرضه انقلب عليه كما حصل له مع النمسا ومع
بروسيا ومع روسيا ومع اسبانيا . انظر مقاله نابليون عن نفسه :

" C'est en me faisant catholique que j'ai fini la guerre de Vendée,
en me faisant musulman que je me suis établi en Egypte, en me faisant
ultramontain que j'ai gagné les esprits en Italie. Si je gouvernais un
peuple de Juifs, je rétablirais le temple de Salomon." V. " Napoléon "
par Rosny. P. 118.

وفي النشرة التي نشرها على الشعب المصرى بتاريخ ٢ يوليه سنة ١٧٩٨ عندما
غزا مصر اراد خدعهم فقال لهم :

Année 1798. Juil. 2. - " N'est-ce pas nous qui avons détruit le
Pape qui disait qu'il fallait faire la guerre aux musulmans ? N'est-ce
pas nous qui avons détruit les chevaliers de Malte, parce que ces insensés
croyaient que Dieu voulait qu'ils fissent la guerre aux musulmans ?
N'est-ce pas nous qui avons été dans tous les siècles les amis du
Grand Seigneur ." - P. 61.

وما كتبه في ١٢٤ أكتوبر سنة ١٧٩٦ :

" La folie du pape est sans égale. Mon projet est de me rendre à
Ancône au moyen de l'armistice, et de n'être ennemi que là. Le grand
art actuellement est de tromper ce vieux renard." V. " La vie de
Napoléon " P. 35.

(Commediante, tragediante) وقد وصفه البابا بكلمتين جمعتا بين الإيجاز والاعتراض قال عنه انه (

ويقول المؤرخ رومني عنه :

" Il organise, continue ses mœmeries islamiques, revêt même à l'occasion
le costume oriental. Ah ! il a tout pour séduire les Orientaux, comme

ceux d'Occident. Il aurait séduit les Nègres. C'est un orchestre universel." "Napoléon" par Rosny. P. 85.

شم يقول :

"Il lit le Coran pour se bien pénétrer de son rôle, professant que sans la religion, celle de Mohamet, il aurait aucune prise sur le peuple ni l'élite." "Napoléon" par Rosny. P. 79.

وها نداءه الى اهالى القاهرة وقد علقه في الميادين العامة والشوارع :

"On vous dira que je viens détruire votre religion ; ne le croyez pas ; répondez que je viens vous restituer vos droits, punir les usurpateurs et que je respecte, plus que les Mamelouks, Dieu, son prophète et l'Alcoran".

وكتب في ٢٦ ابريل سنة ١٨١٦ يقول :

"Année 1816. Avril 26. Et après tout, ce n'est pas qu'il eut été impossible que les circonstances m'eussent amené à embrasser l'islamisme ; et, comme disait cette bonne reine de France : Vous m'en direz tant ; Mais ce n'eut été qu'à bonne enseigne ; il m'eut fallu pour cela au moins jusqu'à l'Euphrate. Le changement de religion, inexcusable pour des intérêts privés, peut se comprendre peut-être par l'immensité [de ses résultats politiques. Henri IV avait bien dit : Paris vaut bien une messe. Croit-on que l'empire d'Orient, et peut-être la sujétion de toute l'Asie, n'eussent pas valu un turban et des pantalons ; car c'est, au vrai, uniquement à quoi cela se fût réduit." P. 373.

وكتب في ٧ يناير سنة ١٨١٨ وهو في منفاه في جزيرة سنت هيلانة يقول :

"Année 1818. Janvier 7. Ce que j'aime dans Alexandre le Grand ce ne sont pas ses campagnes que nous ne pouvons concevoir, mais ses moyens politiques. C'est d'une grande politique de sa part que d'avoir été à Ammon ; il conquit ainsi l'Egypte. Si j'étais resté en Orient, j'aurais probablement fondé un empire comme Alexandre, en me rendant en pélerinage à la Mecque, où j'aurais fait des prières et des génuflexions ; mais je n'aurais voulu le faire que si cela en eut valu la peine." V. Vie de "Napoléon" P. 396.

ومثله محمد على كان مبدأه وشعاره « فرق تسد » انحاز الى الماليك ضد الترك . واستعلن بالأرناؤود على الماليك . واستخدم المصريين ضد الأرناؤود فتوصل الى خلع أربع ولاة عثمانيين أرسلاهم السلطان ليتولوا حكم مصر . وفي هذا يقول المؤرخ جوين وما أبدع ماقال :

“ Nul autre que lui n'applique avec autant d'adresse, de courage et de ruse, la fameuse maxime : diviser pour régner. Comme le disait M. Gouin : “ Il s'est fait renard souvent, lion toujours. Il a renversé les Osmanlis par les Mameluks, les Mameluks par les Albanais, les Albanais par les Egyptiens. Il a fasciné, il a détruit quatre vice-rois, sans craindre de s'asseoir à son tour sur un trône si fragile. Y monter, a-t-on dit, c'était un chef-d'oeuvre. Y rester, un miracle. ”

٧٩ - ونابليون نازله « امرأة » هي لويسيا ملكة بروسيا^(١) إذ أنها تزعمت الثورة التي أثارتها في بروسيا وفي غير بروسيا لطرد نابليون من المانيا وكانت تقطي جوادها وتخص الجنود على القتال وتبث فيهم روح الجماعة والبسالة ضد نابليون وجنوده.

(١) ولعل ابلغ وصف لكرامة ملكة بروسيا لنابليون الذى اذ بلادها ما ورد في كتاب ” لoeffe de Grunwald Stein وفيه :

“ Pour mesurer l'étendue de son sacrifice, il ne faut pas oublier qu'elle voyait en Napoléon un “ fléau de Dieu”, un “ fils de l'Enfer” et qu'elle avait craint, même pour son mari “ une profanation par le contact de cet être infâme ” V. “ Stein ” par Grunwald. P. 73.

وفي صحيفة ٨٦ :

“ Les patriotes d'outre-Rhin ont voué à la mémoire de Louise de Prusse un culte passionné. Ils vénèrent en elle la personnification de toutes les vertus de la femme allemande, ils vénèrent aussi en elle la mère de ce prince Guillaume qui devait devenir Empereur en 1871, la nouvelle Iphigénie qui s'immola au vainqueur à Tilsitt, dans le vain espoir de sauver son pays ; celle enfin qui en assura le relèvement en ramenant le baron de Stein au pouvoir. ”

وفي صحيفة ٩١ :

“ L'horizon est sombre, écrivait-elle à son frère au début de 1806, ce sont les diables qui détiennent le pouvoir et les justes qui doivent se soumettre. Le diadème est lourd à porter pour qui veut rester bon et honnête. Je donnerais volontiers vingt années de ma vie et je n'en garderais que deux si l'on pouvait obtenir à ce prix la paix en Allemagne et en Europe. ”

“ Mais elle s'apercevait chaque jour plus nettement que les empiètements de “ cet infâme colosse de Napoléon ” rendaient une politique de paix impraticable. “ Il ne veut que des esclaves comme instruments de sa volonté, déclarait-elle ; je suis convaincue que tout Prussien préférera donner sa dernière goutte de sang plutôt que de commettre une infamie et de devenir pour les Français un allié ou un esclave, ce qui revient au ”

ومحمد على نازته «امرأة» اسمها غاليا^(١) (ارملة شيخ العرب صبيح). إذ أنه لما ذهب في خلال سنة ١٨١٣ لقمع ثورة الوهابيين تزعمت غاليا هذه عرب نجد واليمن في طربة^(٢) (بين نجد واليمن) لمنازلة جيوش محمد على وبعد أن انضم إليها الشريف راجي وعثمان أخو المضييف كونوا قوة كبيرة كادت تطوق جنود محمد على باشا نفسه وتقتيك بهم. وغاليا

même." Elle comparait l'Empereur à "un bandit de grand chemin qui vous demande la bourse ou la vie", et elle prévoyait avec une angoisse justifiée "le jour où ce rejeton de l'Enfer ferait égorger les Allemands par les Allemands".

ويقول المؤرخ روسي في كتابه (نابليون) :

"La Reine, la belle et charmante Reine, une des plus ravissantes femmes d'Europe, voulait ardemment la guerre. Une cour enivrée la suivait, le monde militaire manifestait, avec une violence sauvage, sa haine contre la France, surtout contre l'Empereur... Le roi était cerné, en proie aux objurgations quotidiennes de sa compagne et des grands du royaume..."

"Si confiant que fut Napoléon dans son génie militaire, il ne pouvait se dissimuler l'imminence du péril. Une grande bataille perdue le ruinerait. Et même vainqueur que de menaces!" (V. "Napoléon." par Rosny.) P. 154.

إلى أن قال في صحيفته ١٧٠ :

"Une propagande frénétique incendia les âmes. La belle Reine, en costume pseudo-militaire, menait une cour d'adorateurs belliqueux, les encourageait, les excitait, leur promettait la victoire.

"Derrière la Reine, un cortège de dames "hochgeboren", la princesse de Cobourg, la princesse électorale de Hesse, la duchesse héritière de Weimar, soeur d'Alexandre, une fourmilière de donzelles moins titrées." V. "Napolion" par Rosny. P. 170.

وها ما قاله فيها نابليون نفسه :

— كتب في ٨ أكتوبر سنة ١٨٠٦ يقول :

"La reine de Prusse est à l'armée, habillée en amazone, portant l'uniforme de son régiment de dragons, écrivant vingt lettres par jour pour exciter de toutes parts l'incendie." P. 189.

— ثم كتب في ٣٠ أكتوبر سنة ١٨٠٦ يقول :

"Jusqu'à cette heure nous avons 150 drapeaux, parmi lesquels sont ceux brodés des mains de la belle Reine, beauté aussi funeste aux peuples de la Prusse que le fut Hélène aux Troyens." P. 193.

(١) راجع صحيفه ٤١ من كتاب الدكتور محمد صبرى .

"A l'aspect des soldats de Moustapha, qui arrivaient (٢) exténués de fatigue, les Ouahabites n'attendirent pas l'attaque; ils fondirent sur eux et les mirent immédiatement en déroute. Une amazone commandait cette brillante sortie; c'était la femme du cheik d'une tribu, elle fit des prodiges de valeur." (p.106)

هذه هزمت المصريين الذين كانوا تحت أمره مصطفى بك (عديل محمد على باشا) .

٨٠ - ونابليون كان شديد الاعجاب بـاسكندر الأـكـبـرـ . ومحمد على مثله ، روى المؤرخان الفنساويان كـادـالـفـيـنـ Cadalvène وـبـرـوـفـوـيـ Breuvery اللذان عاصراه وعرفاه وخالطاه - ان محمد على باشا سمع بتأليف كتاب في حـيـاـةـ اـسـكـنـدـرـ الاـكـبـرـ طبع ونشر في فـرـنـسـاـ فأـمـرـ باـحـضـارـهـ . ولـماـ عـرـضـ عـلـيـهـ الـكـتـابـ ، سـأـلـ عـنـ الزـمـنـ الـذـيـ تـقـضـيـهـ تـرـجـمـتـهـ ، فـأـجـابـ المـتـرـجـمـ «ـ تـسـتـغـرـقـ التـرـجـمـةـ سـتـةـ شـهـورـ »ـ فـقـالـ محمدـ عـلـيـهـ باـشـاـ : «ـ هـذـاـ زـمـنـ طـوـيـلـ »ـ ثـمـ اـسـتـلـ سـيـقـاـ منـ الـحـرـسـيـ وـشـطـرـ الـكـتـابـ ثـلـاثـاـ وـقـالـ : «ـ الـآنـ يـحـبـ أـنـ تـمـ التـرـجـمـةـ فـيـ شـهـرـيـنـ »ـ . بـعـدـ ذـلـكـ تـقـتـلـتـ إـلـيـاهـ الـحـاضـرـيـنـ وـاستـأـنـفـ الـكـلـامـ عـلـيـ الـإـسـكـنـدـرـ قـائـلاـ : «ـ قـيـلـ لـىـ أـنـ الـإـسـكـنـدـرـ وـبـطـلـيمـوسـ مـنـ مـقـدـونـيـاـ . وـأـنـ أـيـضاـ مـنـ مـقـدـونـيـاـ . أـنـ مـقـدـونـيـاـ أـنـجـبـتـ ثـلـاثـاـ تـولـواـ حـكـمـ مـصـرـ . إـلـاـ انـ سـلـطـانـيـ عـلـىـ هـذـهـ الـبـلـادـ أـوـسـعـ مـدىـ »ـ .

٨١ - ومن شدة إعجاب محمد علي بـنـابـلـيـوـنـ مـاـلـ إـلـيـ بـجـارـاتـهـ فـيـ كـلـ شـىـءـ فأـمـرـ بـتـرـجـمـةـ بـعـضـ الـكـتـبـ الـقـىـ وـضـعـتـ فـيـ تـارـيـخـ حـيـاـتـهـ فـأـمـرـ بـتـرـجـمـةـ كـتـابـ (ـ تـارـيـخـ نـابـلـيـوـنـ بـوـنـابـرـتـ)ـ وـهـوـ مـذـكـرـاتـهـ الـقـىـ أـمـلـاـهـ بـنـفـسـهـ حـينـ كـانـ مـنـفـيـاـ فـيـ جـزـيرـةـ سـاـنـتـ هـيـلـانـهـ تـرـجـمـ منـ الـفـرـنـسـاوـيـةـ إـلـىـ الـتـرـكـيـةـ وـطـبـعـ فـيـ بـلـاقـ فـيـ سـنـةـ ١٢٤٧ـ هـ (ـ ١٨٣٢ـ مـيـلـادـيـةـ)ـ . كـاـ تـرـجـمـ (ـ تـارـيـخـ نـابـلـيـوـنـ بـوـنـابـرـتـ)ـ تـأـلـيفـ (ـ دـوـقـ روـفيـجوـ Duc de Rovigoـ)ـ تـرـجـمـهـ عنـ الـفـرـنـسـاوـيـةـ إـلـىـ الـتـرـكـيـةـ عـبـدـ اللهـ اـفـنـدـيـ عـزـيزـ وـحـسـنـ اـفـنـدـيـ الـكـاتـبـانـ بـدـيـوـانـ الـوـالـيـ وـطـبـعـ فـيـ مـطـبـعـةـ سـرـايـ رـأـسـ الـتـيـنـ بـاسـكـنـدـرـيـةـ سـنـةـ ١٢٤٩ـ هـ (ـ ١٨٣٤ـ مـ)ـ وـابـراهـيمـ باـشـاـ أـمـرـ بـتـرـجـمـةـ حـيـاـتـ نـابـلـيـوـنـ إـلـىـ الـلـغـةـ الـتـرـكـيـةـ . وـقـدـ ظـهـرـتـ التـرـجـمـةـ ضـئـلـةـ مـجـمـوعـةـ «ـ أـسـرـارـ حـكـامـ أـوـرـوـ بـالـدـفـيـنـةـ »ـ وـهـاـ مـاـ قـالـهـ كـلـوـتـ بـكـ عـنـهـ :

“Ibrahim-Pacha a fait traduire en ture une histoire abrégée de Napoléon. Elle a paru sous le titre de “ Histoire de l’illustre Napoléon, Empereur de France ”, dans un recueil appelé “ Definei asrar hukkami Europa ” (Trésor des secrets des souverains de l’Europe). V. “ L’Egypte ” par Clot. Bey. P. 43.

(١) يقول رفاعة بك في كتابه (مناهج الالباب) «ـ وـلـماـ كـانـ مـحـمـدـ عـلـيـ يـحـسـ مـنـ نـفـسـهـ بـأنـ عـزـمـاتـهـ اـسـكـنـدـرـيـةـ كـانـ مـتـوـلـاـ بـقـرـاءـةـ تـارـيـخـ اـسـكـنـدـرـ وـمـنـكـباـ عـلـيـهـ وـشـبـيهـ الشـئـ يـنـجـذـبـ إـلـيـهـ »ـ

ولما راجع محمد على من رحلته في السودان فكر أول مفكراً في ترجمة قانون نابليون المدني ليتخذه دستوراً للإصلاحات التشريعية والقضائية في مصر^(١) وقد استحضر أحد رجال القانون من فرنسا هو الاستاذ سولون Solon ليدرس القانون الاداري - راجع صفحة ٦١ من كتاب شلشر Victor Schäelcher على مصر "l'Egypte en 1845" المطبوع في سنة ١٨٤٦) وهذا الاصل :

"Il y a trois ou quatre ans à peine, Méhémet Ali a fait venir de France un jurisconsulte, Mr. Solon, pour établir au Caire un cours de droit administratif."

٨٢ - وواقعة أusterlitz التي انتصر فيها نابليون على الروس وعلى المساوين في ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥ أطلق عليها المؤرخون اسم « معركة الامبراطرة الثلاثة » La journée des trois Empereurs. وفرنسوا الثاني امبراطور المساوين بنفسه . واسكندر الثالث قيسar روسيا بنفسه^(٢) . يقابلها في عهد محمد على معركة حمص - حيث انتصر المصريون على الترك في ٨ يوليو سنة ١٨٣٢ - وقد سماها المؤرخون « هزيمة الباشوات الثانية » لأن القوات التركية كانت تحت قيادة ثانية باشوات هم : محمد باشا والى حلب وعمان باشا حاكم المعادن وعمان باشا والى القيسارية وعلى باشا والى دمشق ومحمد باشا الكردلى ونجيب باشا ودلار باشا ومحمد باشا .

٨٣ - وصف أحد المؤرخين نشاط نابليون وجده بكلمة تتطبق عليه وعلى محمد على معاً . كما وصف أحد المؤرخين نشاط محمد على وجده بكلمة تتطبق عليه وعلى نابليون معاً . اسمع ما يقوله لورد روزبرى Rosebery عن نابليون في كتابه (نابليون) في الصحف ٢٨٩ و ٢٨٨ و ٢٨٦ : قال في صحيفة ٢٨٦ :

"C'était un grand administrateur. Il avait l'oeil et la main à tous les rouages et à tous les ressorts, petits ou grands, de sa vaste machine

(١) راجع كتاب Cadalvénie كادالفين جزء اول صفحة ٨١

(٢) بعد ما انتصر نابليون على الروس والمساوين في واقعة اوسترلitz في ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥ اجتمع مجلس شيوخ فرنسا وقرر اضافة لقب « الكبير » الى اسم نابليون Napoléon le Grand فأصبح اسمه

gouvernementale. C'était son joujou à lui. Il était son propre ministre de la guerre, son ministre des affaires étrangères, son ministre de la marine, tout son ministère."

ثم قال في صحيفة ٢٨٨ :

"Pour accomplir toutes ces choses, il fallait une organisation vraiment puissante, et, de fait, sa constitution physique n'était pas moins extraordinaire que son mécanisme intellectuel. Son estomac endura sans révolte, pendant sa vie entière, de gros repas dévorés en quelques instants à des heures irrégulières."

إلى أن قال في صحيفة ٢٨٩ :

"Une fois il livra bataille à Alvinzy pendant cinq jours de suite, sans retirer ses bottes ni fermer les yeux. Quant il eut battu les Autrichiens, il dormit trente-six heures en arrivant aux Tuileries, après son retour haletant de Valladolid, n'ayant pris en route qu'un repos de quelques heures à Bayonne."

وانتهى بأن قال في الصحيفة نفسها :

"Il courrait en poste du fond de la Pologne jusqu'à Paris, convoquait le conseil sur -le-champ et le présidait avec son énergie et sa pénétration habituelles. Ces conseils de ministres n'étaient pas une plaisanterie. Ils duraient huit ou dix heures. Une nuit, à deux heures du matin, les ministres étaient épuisés. Le ministre de la marine dormait profondément. Napoléon les pressait de continuer leur délibération : "Allons, messieurs, secouez-vous. Il n'est que deux heures; Il faut bien gagner l'argent que le pays nous donne." V. "Napoléon, la dernière phase" par Rosebery.

واسمع الآن ما قاله كلوت بيك في كتابه على محمد على صحيفة ٦١ :

"Son activité est au-dessus de tout ce qu'on peut dire. Non seulement il s'occupe toute la journée mais il ne dort que quelques heures pendant la nuit, et encore son sommeil est-il très agité. A quatre heures du matin, il est sur pied. Il reçoit tous les jours les rapports de ses différents ministres, et dicte toutes les réponses: puis il passe des revues, visite les chantiers, les grands travaux." V. "L'Egypte" par Clot Bey P. 61

ووصفه مسييو هامون - الذي عاصر محمد على وكان في خدمته في مصر -

في كتابه (مصر تحت حكم محمد على) فقال في صحيفة ٤٣٣ :

"D'une activité prodigieuse, infatigable, Mohamed Ali dort peu, son sommeil est agité. L'action est son élément, toute sa vie. Il demeure peu de temps assis. A l'âge de 72 ans, il fait à travers les déserts, le voyage de l'Ethiopie. Dans ses courses, il est le premier levé et le dernier couché." V. "L'Egypte sous Mohamed Ali." par Hamont. P. 433.

و يقول نابليون عن نفسه :

Anné 1816. Sept. 57. - "Le travail est mon élément ; je suis né et construit pour le travail. J'ai connu les limites de mes jambes, j'ai connu les limites de mes yeux ; je n'ai jamais pu connaître celles de mon travail." V. "Vie de Napoléon, par lui-même." P. 383.

و يقول المؤرخ شلشر :

"Méhémet-Ali veut passionnément ce qu'il veut" (V. "L'Egypte en 1845" par Victor Schaelcher P. 61.)

وعندما كان يريد توكيده كان يبدأ كلامه بقوله (والله . بالله . تا الله)
 ٨٤ - كان نابليون يدير بنفسه دفة امبراطوريته العظيمة . لا يبت في مسألة حرية أو بحرية أو مالية أو سياسية أو أدارية إلا برأيه وأمره . فكانت هو وزير البحريّة ووزير الماليّة ووزير الخارجية ووزير الداخلية^(١) . وبعبارة أخرى كان هو الكل في الكل . وما كان أحد من وزرائه يجرأ أن يجادله أو يناقشه أو يعارضه . ومحمد على باشا كان مثله وزير البحريّة ووزير البحريّة ووزير الماليّة ووزير الخارجية ووزير الداخلية . وبعبارة أخرى كان هو الكل في الكل . وما كان أحد من وزرائه يجرأ أن يجادله أو يناقشه أو يعارضه . ألا ينطبق على نابليون وعلى محمد على ما قاله المؤرخ روني :

"Ce n'est pas l'armée romaine qui a soumis la Gaule, mais César; ce n'est pas l'armée carthaginoise qui faisait trembler la république aux portes de Rome, mais Hannibal; ce n'est pas l'armée macédonienne qui a été sur l'Indus, mais Alexandre; ce n'est pas l'armée française qui a porté la guerre sur le Weser, mais Turenne; ce n'est pas l'armée prussienne qui a défendu la Prusse contre les trois grandes puissances de l'Europe, mais Frédéric." V. "Napoléon" par Rosny. P. 38

(١) وفي هذا الصدد يقول لورد روزبرى Lord Rosebery في الصحيفة ٢٨٦

"C'était un grand administrateur. Il était son propre ministre de la guerre, son ministre des affaires étrangères, son ministre de la marine, tout son ministère." "Napoléon" par Lord Rosebery., P. 286.

فالجيش الفرنسي ليس هو الذي غزا بلاد الغرب بل نابليون . والجيش المصري ليس هو الذي غزا بلاد الشرق بل محمد على . ولعل محمد على يشير الى هذا عندما قال (إذا لم يكن الربان ماهراً حطمت السفينة بسرعة) وقريب من القولين قول نابليون نفسه عندما كتب في ٢٨ أغسطس سنة ١٨١٦ وهو في منفاه بجزيرة

سنت هيلانة :

“ Les meilleures troupes ont été les Carthaginois, sous Annibal ; les Romains, sous les Scipions ; les Macédoniens, sous Alexandre ; les Prussiens, sous Frédéric. On pourra peut-être reproduire quelque chose qui vaille mon armée d'Italie et celle d'Austerlitz ; mais, à coup sûr, jamais rien qui les surpasser.” V. “Vie de Napoléon par lui-même.” P. 383.

٨٥ — نابليون بما في سماء الجلالة والجلال والقوة والسلطان حتى أصبح مفرزة القياصرة والأباطرة والملوك والأمراء فإذا مادهم واحد منهم أمر فرع عليه ، فإذا أشار كانت إشارةه أمراً ، وإذا أمر كان أمره حكماً لا معقب له . واسمـه كان يفعل فعل السحر في عقول الأعداء كما يقول الكاتب المؤرخ الشهير ^(١) Sainte Beuve _{“ La magie du nom de Napoléon ”}

(١) سمع ملك البیامونت (ایطالیا) بأن نابليون يرأس الجيش الفرنسي الذى أُتي ليحاربه فأسرع وطلب الصلح مع ان القوّة التي كان يرأسها نابليون ما كان عندها مدفعة ولا خيالة وجندوها كانوا حفاة — صحيفة ١١٠ من كتاب «حياة نابليون» تأليف ستنهال Rivoli سنة ١٧٩٧ — وفي وقعة ريفولي Rivoli سنة ١٧٩٧ سلّم له ٢٠٠ جندى ٢٠٠٠ رجل مع ضباطهم

مع أن جيشه ما كان يزيد على ٣٠٠٠٠

— وفي وقعة اولم Ulm انتصر على المساوين واسر ٦٠٠٠ منهم ٣٠ جنراً وغم ١٢٠ مدفأً و٩٦٠ عملاً ولم يخسر من رجاله سوى ١٥٠٠٠ ثلثتهم جرحى . ثم سقطت الحامية وكان عدد رجالها ٣٣٠٠٠ بينهم ١٨ جنراً وعمرهم ٦٠ مدفأً . ومن القريب انه لما استقر لهم نابليون امامه وقفوا مبهوتين وكثير من الجنود والضباط صاحوا « فليحي الامبراطور »

وقد كتب في ذلك يقول : “ J'ai rempli mon dessein, j'ai détruit l'armée autrichienne par de simples marches ; j'ai fait 60.000 prisonniers, pris cent vingt pièces de canon, plus de quatre-vingt-dix drapeaux et plus de trente généraux.

“ Je n'ai perdu que 1.500 hommes, dont les deux tiers faiblement blessés . . . (Donc, il a pour ainsi dire vaincu tout seul, son armée servant d'épouvantail plutôt que de réalité combattante.)

“ La garnison d'Ulm pose les armes demain ”, ajoutait-il.

“ Cette garnison (33.000 hommes, 18 généraux, 60 canons), défila

ومحمد على مثله كان مفزعه السلطان والملوك والأمراء والولاة^(١).

٨٦ - ومن ألطاف ما يروى ان ابراهيم باشا ابن محمد على دعا بعض الفرنسيين لتناول الغداء معه في القنطرة الخيرية في يوم ١٥ اغسطس سنة ١٨٢٤ وكان بين المدعويين الكولونييل سيف (سليمان باشا الفرنسي) ولينان بك (لينان باشا الفرنسي) ودى لسبس الفرنسي (صاحب قنال السويس) وكان وقتئذ سكرتيراً لقنصلية فرنسا في مصر . وفي أثناء تناول الغداء فطن الحاضرون الى ان ذلك اليوم ١٥ اغسطس هو عيد ميلاد نابليون (لأنه ولد في ١٥ اغسطس سنة ١٧٦٩) فصادفت هذه

devant l'Empereur. Il advint que les soldats et même les officiers, s'arrêtèrent pour contempler, pour admirer le vainqueur. Bon nombre crièrent: "Vive l'Empereur." V. "Napoléon le Grand" par Rosny Ainé. P. 157.

— وفي شهر فبراير سنة ١٨١٤ انتصر على اعدائه في ست وقائع جريئة في اسبوع واحد في ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ فبراير سنة ١٨١٤ . وفي هذا يقول المؤرخ الفرنسي دوسي في صحيفته ٢٢٣ في كتابه « نابليون الكبير » ما يأْتي :

“ Voyons les dates en série : 10, 11, 12, 14, 16, 18 février, six batailles, six batailles heureuses en une semaine. L'athlète dépasse toutes ses performances.

“ Aux ennemis consternés, l'homme apparaît surnaturel, diabolique. Voir “ Napoléon le Grand ”. par Rosny P. 223.

— ولما فرّ من جزيرة ألب وبهبط في فرنسا ليسترد العرش لم يكن معه سوى ٧٠٠ جندى ومحى ذلك اختراق فرنسا غازياً من شاطئه فرنسا الجنوبي الى ان وصل الى باريس . وفي اثناء زحفه انضم اليه آلاف من الفرنسيين . ولما علم ملك فرنسا بقدومه والتقارب الناس حوله هرب : — ولعل ابلغ كلامه هي التي قالها الشاعر الالماني هنري هيمن اذ قال :

“ Napoléon a sifflé et la Prusse n'existe plus ”

(١) فزع اليه السلطان محمود وطلب منه قع ثورة الوهابيين ففعل .

— وفزع اليه عندما ثارت بلاد اليونان وعجز الجيش المتألف عن اخراج ثورة الموردة ففعل .

— وفزع اليه عندما ثار اهالي جزيرة كريت واهالي جزيرة قبرص ففعل .

— وفزع اليه عند مارادصد الفرس الذين ثاروا عليه .

— وفزع اليه حاكم درنه وطلب منه العون والنجدة .

— وفزع اليه اهالي البوسنة .

— وفزع اليه فرنسا عندما ارادت تأديب امير الجزائر .

— وفزع اليه امراء الحجاز واليمن وولاية دمشق وحلب وعكا عندما غضب عليهم السلطان .

— وفزع اليه والي بغداد وعرض عليه الاستسلام .

— وابلغ من كل هندا انه في ٢٨ فبراير سنة ١٨٣٣ تقدم محمد اغا الى حاكم ازمير وطلب منه باسم محمد على باشا وابنه ابراهيم باشا التسامي فأذعن في الحال وسلّم المدينة واستسلمت الحامية مع انه لم يكن مع محمد اغا سوى اربعين جنود فقط . ليس هذا من la magie du nom de Méhémet Ali . وفي هذا يقول احد المؤرخين « الشهيرة تعدل عشرة جيوش » . La popularité vaut dix armées . وكتب فنصل انجلترا في مصر الى لورد بالمرستون كبير وزراء انجلترا يقول ان اسم ابراهيم فعل في نفوس الناس فعل السحر :

“ Le nom d'Ibrahim semble talismanique ” V. Sabry. p. 344.

الذى ذكرى هو فى فؤاد ابراهيم باشا فأمر فى الحال بذبح خروف امام الحاضرين وما جرى دمه قام ابراهيم باشا وكتب بدم الخروف حرف م . ن وهم الحرفان الأولان من اسمى محمد على ونابليون .

٨٧ - وجيوش محمد على صادفها ما صادف جيوش نابليون من انكسار ينقلب الى انتصار . ففي واقعة (٨ فبراير سنة ١٨٠٩) كاد الروس يغزون جيوش نابليون شر ممزق لولا حركة لف ودوران من الماريشال ناي Ney واذا الروس ينكسرن والفرنساويون يتضررون . وفي واقعة مارنجو Marengo (١٤ يونيو سنة ١٨٠٠) كادت الجيوش النمساوية تسحق جيوش نابليون لولا ظهور فيالق دسكس Desaix واذا النمساويون ينكسرن والفرنساويون يتضررون . وجيوش محمد على أحدق بها الخطير في واقعة نزيب وكاد الخطير ينقلب الى هزيمة لولا حركة لف ودوران من الجيش المصري تحت قيادة ابراهيم باشا وسلیمان باشا الفرنسي طوق الجيش العثماني الذى كان تحت قيادة حافظ باشا والبارون مولتكى ^(١) واتهت بنصر مبين . ممزق المصريون الجيش التركى شر ممزق . قتلوا منه ٠٠٠٤ وغنموا منه ١٧٩ مدفأً وأسرروا ٠٥٠٠ ره وغنموا ١٨٠٠ ره بندقية واستولوا على جميع المعسكر التركى بهماته وذخائره . واعترف البارون مولتكى الألمانى بأن الجيش التركى خسر فى تقهقره خمسة أسداس البقية الباقيه منه . وفي واقعة كولاخ بلاد العرب (٢٠ يناير سنة ١٨١٥) بدأت المعركة بين الجيش المصرى تحت قيادة محمد على باشا نفسه بفوز الوهابيين واندحار المصريين وتقهقرهم وتشتتهم ولما هم العرب بطاردة المصريين جمع محمد على فلول جيشه وكون منه مربعات - على مثال ما فعل نابليون في واقعة امبابه مع الماليك - وصوب مدافعه على العرب فقصدتهم حصداً ثم اقلب من الدفاع الى الهجوم واقتضى على جيوش العرب فهزها شر ممزق وقتل منهم ٠٠٠٠ ره جندي . وكان هذا النصر المبين خاتمة أعماله الحرية في بلاد العرب .

٨٨ - وجيش نابليون لما اضطر الى اخلاق فلسطين بعد ما فشل في الاستيلاء على قلعة عكا كاد يهلك من الجوع والعطش فاضطر الجندي الى أكل الخيل والجمال والخيول

(١) وهو الذى كان رئيس هيئة اركان حرب الجيش البروسى في حرب السبعين التي اندررت فيها جيوش نابليون الثالث امام ملك بروسيا وامام بسمارك .

والكلاب أيضاً التي صادفها^(١). وجيش محمد على عند ما اضطر إلى إخلاء جزيرة العرب وعند ما اضطر إلى إخلاء فلسطين وسوريا كاد يهلك من الجوع والعطش فاضطر إلى أكل الخيل والجمال والخيول حتى أكل الأعشاب وجحاف النخيل

٨٩ - أخطأ نابليون بـ سلطانه على بلاد وأمم وشعوب متباعدة غير متجانسة لا تجمعها لغة واحدة ولا طبائع واحدة ولا دين واحد مثل إيطاليا وبليجيكا وهولندا وبلغاريا وبروسيا ومطالطة ضحى في غزوها ماضحة من رجال وأموال . وأخطأ محمد على هو أيضاً بـ سلطانه على بلاد وأمم وشعوب متباعدة غير متجانسة لا تجمعها لغة واحدة ولا عادات واحدة ولا أخلاق واحدة ولا دين واحد مثل اليمن ونجد والمحاجز وفلسطين وسوريا والأناضول وكريت وبلاد النوبة ودارفور وكردفان . ضحى في غزوها ماضحة من رجال وأموال^(٢)

٩٠ - في أثناء وجود بونابرت في مصر وصلت إليه أخبار سيئة عن حالة فرنسا الداخلية والخارجية انزعج لها واضطرب فقرر العودة إلى فرنسا حالاً فادرها وترك الجيش في مصر وكم الخبر عن الجيش كي لا يتذمر ولا يتطرق إلى قلبه اليأس وخيبة الامل ، وأسرّ بعزمـه هذا إلى ثلاثة من أخص أخصائه وهم : (برتيه Berthier وبوريـن Bourienne وجـاتوم Ganthaume) وعيـن الجنـال كـلـير Kléber خلفـاً له ، ثم أمرـ جـاتومـ - قـائد البـقـيـة الـبـاقـيـة منـ الـاسـطـوـل الـفـرنـساـوي بـعـدـما حـطـمـه الـأـنـجـيلـيزـ فيـ قـيرـ - بـأنـ يـجـهزـ أـرـبعـ سـفـنـ وـيـزـوـدـهـ بـاءـ وـمـيـرـةـ تـكـفـيـ ٤٠٠ مـسـافـرـ لـمـدـدـ أـرـبـعـةـ أـشـهـرـ ، وـأـبـحـرـ مـنـ الـاسـكـنـدـرـيـةـ فيـ يـوـمـ ٢٢ـ أـغـسـطـسـ سـنـةـ ١٨٩٩ـ السـاعـةـ السـابـعـةـ مـسـاءـ وـوـصـلـ إـلـىـ طـلـوـنـ (فـرـنـسـاـ) يـوـمـ ٩ـ أـكـتوـبـرـ بـعـدـ أـنـ لـبـثـ ٤٥ـ يـوـمـاـ فـيـ الـبـحـرـ ثـمـ وـاـصـلـ السـفـرـ - عـلـىـ عـرـبةـ بـرـيدـ - إـلـىـ أـنـ بـلـغـ بـارـيـسـ يـوـمـ ١٣ـ أـكـتوـبـرـ . وـقـدـ حـصـلـ لـمـحـدـ عـلـىـ مـاـ حـصـلـ

Année 1977. Fév. 27. — "Nous avons mangé des chiens, (١) des ânes et des chameaux." V. "Vie de Napoléon." P. 73.

(٢) حـربـ المـوـرـةـ كـافـتـ مـحـمـدـ عـلـىـ ٤٥٠٠٠ فـرـنـكـ ذـهـبـ عـدـاـ خـسـارـةـ أـرـواـحـ الـجـنـوـدـ وـعـدـهـ ٣٠ـ إـلـفـ وـخـسـارـةـ الـاسـطـوـلـ الـمـصـرـيـ وـعـدـ سـفـنـهـ ٨٩ـ . وـقـدـ اـغـرـقـهـ الـحـلـفـاءـ فـيـ نـافـارـينـ Navarinـ (فـيـ بـلـادـ الـيـونـانـ) . وـحـربـ الـوـهـاـيـيـنـ كـافـتـ مـحـمـدـ عـلـىـ ٢٥٠٠٠ جـنـيـهـ عـدـاـ خـسـارـةـ الـأـرـواـحـ . وـلـاـ يـلـمـ إـلـاـ اللـهـ كـمـ كـافـ غـزـوـ فـلـسـطـيـنـ وـسـوـرـيـاـ وـلـبـنـاـنـ وـالـأـنـاضـولـ . وـكـمـ كـافـ غـزـوـ النـوـبـةـ وـالـسـوـدـانـ وـدـارـفـورـ وـكـورـدـوـفـانـ وـجـزـيـرـةـ كـرـيـتـ وـجـزـيـرـةـ قـبـرـصـ

لنا بليون قاماً إذ أنه لما كان في جزيرة العرب في خلال سنة ١٨١٣ وصلت إليه أخبار سريّة عن حالة مصر الداخلية والخارجية انزعج لها واضطرب ، فقرر العودة إلى مصر وترك الجيش المصري في بلاد العرب وكتم الخبر . وفي يوم ١٩ مايو أمر حاكم ينبع بأن يجهز له سفينة تبحر ليلاً ، وفي يوم ٢٠ وصل محمد على باشا إلى ينبع مع حاشيته وركبوا فوراً السفينة ولما وصل إلى القصيم لم يجد خيلاً ولا أبلًا فامتطي « حماراً » سار به في جوف الصحراء . ولما وصل إلى قنا ركب مركباً مخرّط به في بحر النيل إلى أن وصل إلى مصر في يوم ١٩ يونيو سنة ١٨١٥ بعد شهر واحد من مغادرته « المدينة المنورة »^(١) .

٩١ - أرهق نابليون فرنسا بكثرة التجنيد حتى مل الفرنسيون فتفنوا في الخلاص من الجنديّة بقطع أصابعهم وتشويه أعضائهم وتسحب منهم آلاف ورفض التجنيد ١٦٠٠٠ وشدّ محمد على على المصريين بالتجنيد حتى ملوا فتفنوا في الخلاص من الجنديّة بقطع أصابعهم وتشويه أعضائهم وتسحب منهم ٦٠٠٠ إلى ولاية عكا^(٢)

“Méhémet-Ali quitta brusquement l'Arabie. Dès le 19 mai,(١) le gouverneur d'Yanbo recevait l'ordre de tenir un bâtiment prêt à faire voile dans la soirée ; le lendemain arrivait le pacha avec une suite nombreuse ; il s'embarquait sans nul retard, et ne permettait même pas au capitaine de longer la côte suivant l'usage, quoique le navire fût mal approvisionné d'eau; mais il lui ordonnait de gagner le large, atteignait Cosseir, et ne trouvant là sous sa main ni chevaux ni chameaux, il s'élançait à dos d'âne dans le désert, prenait une cange à Kénè, et rentrait dans sa capitale le 19 juin 1815, un mois, jour pour jour, après son départ de Médine. (p. 148)

“Quand les fellahs eurent reconnu que la résistance ou- (٢) verte ne pouvait les soustraire à leur sort, ils ne craignirent pas de se mutiler pour se rendre impropre au service militaire; les uns s'excisaient le doigt indicateur de la main droite avec une hache, les autres se mettaient un peu de chaux vive dans l'œil droit.” (p. 249)

إلى أن قال :

“Cette misérable population, qui poussait l'horreur pour le service militaire normal jusqu'au point de se mutiler afin d'y échapper,—si bien que la pacha, en pénurie de soldats, avait contraint de ne plus admettre aucun motif d'exemption, et d'enregistrer tout le monde, jusqu'aux borgnes.” (p. 265)

٩٢ - ونابليون أقصى عن العرش مرتين : مرة في ١١ أبريل سنة ١٨١٤ بعد رجوعه من روسيا وانكساره في ليزج ومرة في ٢٢ يونيو سنة ١٨١٥ بعد واقعة واتلو . محمد على عزله السلطان أربع مرات .^(١)مرة في سنة ١٨٣٢ بعد مارتحف جيش محمد على على فلسطين وحاصر عكا . ومرة في سنة ١٨٣٩ قبل واقعة نزيب . ومرة في ٣١ مايو سنة ١٨٤١ بعد ما تآلت الدول عليه وطلبت منه الجلاء عن الاناضول وسوريا وفلسطين ورفض . وبعد ما تم التفاهم والصلح أبطل السلطان عبد المجيد أمر العزل بفرمان تاريخه ١١ أبريل سنة ١٨٤١

٩٣ - ونابليون هدد بالانتحار مرة (في ٢١ أبريل سنة ١٨١٤) عندما أكرهته الدول المتحالفه على التزول عن العرش ، محمد على هدد بالانتحار مرة (في سنة ١٨٤٠) عندما أكرهته الدول المتحالفه على الجلاء عن الاناضول وسوريا .

٩٤ - ونابليون تحالفت ضده إنجلترا وروسيا وبروسيا والمنسا وايطاليا واسبانيا والسويد وتركيا حاربته وأجلت جيوشه عن شمال أوروبا وجنوبها وشرقها وغربها^(٢) محمد على تحالفت ضده إنجلترا وروسيا وبروسيا والمنسا وايطاليا وتركيا وحاربته وأجلت جيوشه عن الاناضول وسوريا ولبنان وفلسطين وكريت .

٩٥ - وبينما كان نابليون يحاصر قلعة عكا اتصل به نباً ظهور رجل في مصرف في خلال شهر أبريل سنة ١٧٩٩ ادعى النبوة وزعم انه المهدى المنتظر وان الله أوحى اليه بأن يطرد الفرنسيون من مصر والتلف حوله لغيف من الناس السندي وسرى الهرج والمرج بين القوم سريان النار فى الهشيم وأزاء فشل الحصار وهلاك الكثير من رجاله وذيع خبر هذا المهدى قرر بونابرت العودة الى مصر فوصل اليها في ١٤ يونيو سنة ١٧٩٩ (صحيفة ٧٤ من كتاب "تأليف Bonaparte en Egypte" يقابل انه في أثناء أتم ماك محمد على باعداد حملة جزيرة كريت وشبه جزيرة الموراء ظهر في الوجه القبلي رجل مغربي في شهر أبريل سنة ١٨٢٤ زعم ان الله أوحى اليه بأن يحاسب محمد على على أفعاله الخالفة لشريعة الله ولستة نبيه فصدقه أهالي اسنا وأرمانت وقوص وقنا وانضموا تحت لوائه ونادوا بوجوب شق عصا الطاعة على محمد على . خوفاً من استفحال أمرهم أخذ

(١) لما تلقى محمد على من الصدر الاعظم الفرمان بعزله قال (هذه هي رابع مررة يعز لوني فيها وفي كل مررة كنت انفس وازداد مجداً — راجع صحيفه ٢٣٦ من كتاب كريم بك ثابت)

(٢) انفقت إنجلترا في هذا السبيل ٨٠٠٠٠٠ جنيه حتى سنة ١٨١٤ — اي الى ان

نفي نابليون في جزيرة الـ Elbe

اليهم محمد على قوة من رجاله بطلست بهم وشتت شملهم (صحيفة ١٣٧ من كتاب كريم ثابت بك).

٩٦ - وفي أثناء واقعة «واترلو» التي انتهت في ١٨ يوليه سنة ١٨١٥ بانكسار نابليون ونفيه طلب الانجليز من الجنرال كامبرون Cambronne قائد الحرس الفرنسي

التسليم فأبى وقال كلمته المشهورة في التاريخ : «الحرس يفضل الموت على التسليم» .

٩٧ - «La garde meurt et ne se rend pas» وفي أثناء حصار بيروت طلب الانجليز من سليمان باشا الفرنسي قائد جيوش محمد على التسليم فأبى وقال : «أفضل الموت على التسليم» .

٩٧ - كاد نابليون يغرق في خليج السويس في ٢٨ ديسمبر سنة ١٧٩٨ إذ أنه

بارح مصر القاهرة يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٧٩٨ إلى السويس مع أربعة من المهندسين والعلماء وهم مونج Monge وبرتوليه Bertholet وكوستاز Costaz والمهندس لو بير Lepere

وعاين المنطقة كلها ووصل إلى البحيرات المرية ووادي الطميلاط واكتشف ترعة قدمة وزار

عيون موسى ثم اجتاز الخليج مشياً على قدميه، وفي أثناء عودته من البر الأسيوي فاجأته ظاهرة

المد والجزر وكانت مياه البحر تتبعده فهرب نحو مصر وقال كلمته المشهورة «هل كتب

علينا الغرق هنا كما كتب على فرعون مصر من قبل»^(١) وقاد يغرق أيضاً في ١٤ نوفمبر

سنة ١٧٩٦ في إيطاليا عندما أراد اجتياز كوبري أركول Le pont d'Arcole إذ أنه سقط

في البحيرة ولو لأن أسرع جنوده وانتشلوه لوقعه أخيراً في أيدي الأعداء وتغير مجرى التاريخ.

محمد على كاد هو أيضاً يغرق في النيل إذ أنه في أثناء رحلته إلى السودان تحطم

المركب الذي كان فيه فوقع في البحر وقاد يغرق إلا أنه سبّح إلى أن وصل إلى الشاطئ ثم

امتطى هجينًا واجتاز الصحراء^(٢). ويروى أنه لما حضر إلى مصر في أول مرة غرق ونجا^(٣).

“(١) Serions-nous venus ici pour périr comme Pharaon”

وتدكرنا نجاة نابليون ومحمد على من الغرق في مصر بتجاهة يوليوب قيصر من الفرق في تغز الاسكندرية عندما حضر إلى مصر — بعد وفاة اسكندر الأكبر المقدوني بثلاثة قرون — وناصر كليوباترا ملكة مصر على أخيها بطليموس الذي غرق في النيل وعمره ١٥ سنة

“Dans le commencement de sa carrière, il a affronté tous les périls. L'année dernière ne l'a-t-on pas vu, malgré son âge, entreprendre le voyage de Fazoglu, c'est-à-dire aller à six cents lieues de sa capitale braver les écueils du Nil, briser sa barque, se jeter à la nage, et faire, sur un dromadaire, à travers les déserts, une grande partie de cette route longue et dangereuse?” V. “L'Egypte” par Clot Bey. P. 63.

(٢) والي هذا الغرق اشار احد الشعراء بقوله :

هذا الذي قدّرت مصر له فتى على المباب ولم يظفر به الغرق

وكان محمد على يفرق مرة أخرى أذ انه بعد ان جلا الانجليز عن ثغر الاسكندرية في سنة ١٨٠٧ دخلها محمد على ثم سار الى رشيد ومنها ركب مركباً في النهر قاصداً مصر ولكن المركب اقلبت به امام وردان فاجتاز النهر سباحة ثم تابع سفره راكباً جواداً .
 ٩٨ - وقد سقط محمد على من جواده وهو قاصد مصر كما به جواده فسقط على الارض . ونابليون كما به جواده بعد اجتيازه نهر النيمين Niémen عندما غزا روسيا .
 ٩٩ - ونابليون زار مدينة أجاكسو (مسقط رأسه) مرة واحدة في حياته بعد أن غادرها في ١١ يونيو سنة ١٧٩٣ واستوطن فرنسا ، وقد زارها وهو عائد الى فرنسا بعد أن غزا مصر . نزل في أجاكسيو في أول أكتوبر سنة ١٧٩٩ ثم سافر الى فرنسا ولم يعد . و محمد على مثله زار مسقط رأسه « قوله » مرة واحدة في حياته بعد أن غادرها في سنة ١٨٠١ واستوطن مصر وذلك بعدما زار السلطان عبد المجيد في استانبول في سنة ١٨٤٦ وعاد الى مصر .

١٠٠ - اجتاحت جيوش نابليون اوروبا من الغرب الى الشرق ووصلت الى قلب روسيا واحتلت موسكو ثم ارتدت من روسيا الى فرنسا خائرة القوى ترفي وسط بلاد معادية وقائلة أممَا معادية تكافح المطر والثلوج والبرد القارس الى ان عادت الى فرنسا بعد ان خسرت ٣٠٠ جندى وخسرت مدافعتها ومهماها ، كذلك جيوش محمد على فانه بعد ان تألفت عليه انجلترا وتركيا والمنسا وبروسيا والروسيا اضطر الى اخلاء الاناضول وسوريا وفلسطين وعادت الجيوش المصرية مارة ببلاد معادية وأمّا معادية تقاتل الترك والانجليز والبدو والدروز ولما وصلت الى جنوب سوريا انقسمت فرقاً ثلاثة مشاة وفرساناً ومدفعية . المشاة تحت قيادة ابراهيم باشا والفرسان تحت قيادة احمد باشا المانكلى والمدفعية تحت قيادة شليمان باشا الفرنساوى . وعادت الى مصر منهوكة القوى وقد خسرت نصف عددها تقريباً .

١٠١ - وفي آخر عهد نابليون بالحكم ^(١) أصابه اختلاط في عقله ^(٢) .

(١) قات في آخر عهده « بالحكم » ولم أقل في آخر حياته لأن اختلاط عقله أصابه في آخر عهده بالحكم اما هو فقد عاش بعد سقوطه وانهيار امبراطوريته ست سنوات ثم مات بسرطان المعدة (مثل ابيه)

(٢) وفي هذا الصدد يقول لورڈ روزبرى Rosebery في الصحيفة :

“ Nous sommes donc convaincus que longtemps avant sa chute finale ”

- وفي آخر عهد محمد على بالحكم أصابه اختلاط في عقله .
- ١٠٢ - وابن نابليون مات بالسل . وابن محمد على مات بالسل .^(١)
- ١٠٣ - كانت السفينة الحربية الانجليزية بيليروفون Bellérophon شوئماً على نابليون وعلى محمد على . اذ كانت بين سفن أسطول نلسون الذى حطم اسطول نابليون فى ابى قير فى أول أغسطس سنة ١٧٩٨ وكانت هى السفينة الحربية اللى أقامت نابليون فى يوم ١٥ يوليه سنة ١٨١٥ أسيراً من فرنسا الى الجلبرتا - بعد ما هزم فى واقعة واترلو وسلم نفسه الى الانجليز - وكانت هى هي نفسها اللى استخدمتها الجلبرتا لضرب عكا عند ما كان جنود محمد على معتصمين فيها وبقيت هذه السفينة الحربية تطلق قنابلها على القلعة وعلى المدينة حتى دمرت تلك المدينة وقتلت جنود الالاى المصرى الذين كانوا يدافعون عنها . ولما رفض رجال المدفعية المصرية التسليم استمر اطلاق القنابل عليهم الى ان استشهدوا على بكرة أبيهم مفضليين الموت على التسليم .
- ٤ - ونابليون بعد وفاته نقل رفاته بحراً من جزيرة سانت هيلانة الى فرنسا ثم مهراً عندما احتارت الباخرة نهر السين من مصبه الى باريس عاصمة فرنسا . ومحمد على بعد وفاته في الاسكندرية نقل رفاته نهراً على باخرة احتارت ترعة الحمودية ثم نهر النيل من الاسكندرية الى القاهرة عاصمة مصر .

l'Empereur avait perdu l'équilibre de ses facultés. Ceci ne veut pas dire qu'il fût fou, à moins que ce ne soit dans le sens où l'entend Juvénal dans son amère apostrophe à Annibal. Un "cerveau sain" est un terme élastique." V. "Napoléon" par Lord Rosebery P. 300

الى ان قال في صحيفه ٣٠١ :

" Le Napoléon qui déclara un jour que toutes les contrées de l'Europe devraient déposer leurs archives à Paris et, un autre jour, que l'Empire français devrait être le pays d'origine de toutes les souverainetés; que tous les rois de la terre devraient avoir des palais, pour y résider, à Paris et assister, en pompe, au couronnement de l'Empereur des Français ; le Napoléon qui refusa de faire la paix en 1813 et en 1814 avait perdu, évidemment, son équilibre mental. Cela est si manifeste que, dans les derniers jours de son premier règne, une conspiration se forma à Paris pour le déposer comme ayant perdu la raison." V. "Napoléon" par Rosebery. P. 301

" Une plitisie pulmonaire emporta Ibrahim Pacha " V. (١)
" L'Egypte sous Ismail " par Amédée Sacré.

١٠٥ - أحب نابليون فرنسا حبًا جمًّا وأخر كملة له : « أريد أن يرقد رفاته على ضفاف نهر السين بين الشعب الفرنسي الذي أحبه حبًا جمًّا »^(١) وقد قرأها منقوشة على قبره في سرای الانفاليد . وأحب محمد على باشا مصر حبًا جمًّا في نشرة حررها وزعها على الشعب المصري في يوم ١١ من شهر المحرم سنة ١٢٦٣ قال :

« ان أفكار وآراء محمد على هي خير هذا الوطن ، نحن وطنيون ، ومن لم يفهم معنى الوطنية ، فهو بلا شك لا يستطيع أن يكون من حضاف العقلاء . أيها الرجال : أستحلفكم بالله أن تظروا فنوسكم من الشهوات النفسانية . انصفووا . اخدموا هذا الوطن العزيز بأخلاق . فتى كان وطنكم عزيزًا كنتم أعزاء . اعملوا ولا تدعوا الفرصة تفوتكم لظهوره أمام العالم وطنًا عظيمًا بأهله كبيرًا بحكامه »

وآخر كملة له خطاب بها أولاده هي : « ليس لكم يا أولادي وطن غير مصر . فإن لم تسلكوا سبيلاً وتبعوا خطواتي فلا عز لكم ولا علاء وأننا منكم بريء » ومن مؤثر قول ابنه ابراهيم : « اني لست تركيًّا . إذ انه من يوم حضورى الى مصر طفلاً وشمس مصر تفعل في دمي فعلها حتى جعلته دمًا مصر ياماً صرفاً » .

١٠٦ - نختم بكلمات جامعة مانعة كأن قائلها عنى بها نابليون ومحمد على معاً :

“ Le premier qui fut roi fut un soldat heureux. ”

“ Les hommes de génie sont des météores destinés à brûler pour éclairer leur siècle.”

والكلمة الثالثة قالها مدرس لتلامذته وصفًا لنابليون ، وتنطبق على

محمد على أيضًا :

“ Sa tête est le foyer des grandes idées comme le soleil est le foyer de la lumière ”

كلمة الأخيرة :

“ Entre les plus beaux noms leur nom est le plus beau. ”

“ Je désire que mes cendres reposent sur les bords de la (١) Seine au milieu de ce peuple français que j'ai tant aimé ” . كتبها وهو في منفاه في ١٦ ابريل سنة ١٨٢١ وقد مات في ٢ مايو سنة ١٨٢١ . ومن غريب المصادرات ان يظهر نجم ذو ذنب قبل موته نابليون كما ظهر نجم ذو ذنب قبيل موته يوليوس قيصر الروماني الذي يdead من اعظم ابطال التاريخ وهو الذي حضر الى مصر ورزق من ملكة مصر كلوي بطره ولدًا سماه سيزاريون Césarion .

كتب المؤلف

- ١ — رسائل في الوقف
- ٢ — الطعن في الأحكام بطريق القض و الإبرام (ترجمة كتاب مسيو دوهانس)
- ٣ — قضايا المحاكم في مسائل الأوقاف (نقله إلى الفرنسية الاستاذ يعقوب خانكى)
- ٤ — خواطر خواطر
- ٥ — ما هنا وما هناك
- ٦ — مجموعة مذكرات في بعض قضايا شهريرة
- ٧ — عشر رسائل في القضاء والتشريع
- ٨ — مسائل قانونية ووسائل شتى
- ٩ — شؤون مصرية — طبعة أولى
- ١٠ — د . د . د . ثانية
- ١١ — قنال السويس
- ١٢ — أحاديث
- ١٣ — أحاديث جديدة
- ١٤ — فرض ضريبة على التركات والهبات والتأمينات والوصايا والأوقاف واليائسيب
- ١٥ — الرق والعتق والولاء شرعاً ونظماماً
- ١٦ — الحكم والوقف والتقادم
- ١٧ — اختلاف الدارين ومتى يكون مانعاً من الإرث — وترجم إلى اللغة الفرنسية
- ١٨ — معجزة من معجزات الاصلاح الزراعي
- ١٩ — الملكية العقارية في مصر
- ٢٠ — ديون مصر
- ٢١ — الصورية ووجوب اعتبارها جريمة
- ٢٢ — المماطلة في الحصومة وعلاجها
- ٢٣ — ترك وأتاتورك — وترجمه إلى اللغة الفرنسية الاستاذ جميل خانكى
- ٢٤ — قنال فاروق الأول
- ٢٥ — الذكرى المئوية لواقعة نزيب
- ٢٦ — المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية . ماضيها — حاضرها — مستقبلها
- ٢٧ — المحاماة قدماً وحدشاً — بالاشتراك مع الاستاذ جميل خانكى
- ٢٨ — التشريع والقضاء قبل إنشاء المحاكم الأهلية
- ٢٩ — نفحات تاريخية
- ٣٠ — حياة اسكندر الأكبر
- ٣١ — نابليون و محمد على



LIBRARY
OF
THE NEW YORK CITY



32101 074069384

(NEC)
DT104
.K436
1940z